# التقدمي

نشرة شهرية يصدرها المنبر التقدمي - مملكة البحرين SDPA 499 العدد 147 السنة الثامنة عشر - فبراير 2020


# «إفلاس» هيئة التأمين الاجتماعي

## أهي تهيئة للتخصيص؟!

قضايا الشباب من أفواههم 7-5

الذكرى ٦٥ لتأسيس جبهة التحرير 13-12

علي الغرير وداعًا 29-28


## موقفنا

# تسقط صفقة القرن

كيف يمكن إبرام «حل» لقضية وطنية وقومية كبرى بحجم القضية الفلسطينية بغياب صاحب القضية نفسها، أي الشعب الفلسطيني،عن المشاركة في وضع هذا الحل؟. لكن من أعلنوا عن «صفقة القرن» المشؤومة يدركون، قبل سواهم، أن ما أعلنوا عنه ليس حلاً، إنما هو بمثابة تصفية للقضية العادلة للفلسطينيين، لذلك أحسنوا الوصف حين قالوا عنها إنها «صفقة»، صفقة بين الأمريكان والصهاينة ومن هم على هواهم.

وقد يكشف الزمن عن وجود تواطئات عربية في الموضوع، لكن ما يمكن تأكيده هو أنه لولا التردي البالغ في الوضع العربي وانهيار منظومة الأمن العربي، وانكشافها على الخارج وتغوّل المشاريع الإقليمية في المنطقة، والمشروع الصهيوني في مقدمتها، ما كانت واشنطن وتل أبيب ستملكان الجرأة لإظهار كل هذه الوقاحة في الإعلان عن صفقة تجاهر علناً بالإجهاز على مرتكزات أساسية في التسوية العادلة التي يناضل من أجلها الفلسطينيون، وفي مقدمتها أن تكون القدس عاصمة الدولة الفلسطينية المنشودة، وضمان حق اللاجئين الفلسطينين في العودة إلى ديارهم، وإزالة المستوطنات الإسرائيلية من الأراضي الفلسطينية المحتلة في عدوان 1967.

والمؤكد أيضاً أنه لتردي الوضع الفلسطيني الداخلي أكبر الأثر في الإفصاح عن هذه الوقاحة الأمريكية – الصهيونية، بسبب حال الانقسام، ووجود قرارين فلسطينيين متناقضين، أحدهما في رام الله ممثلاً في السلطة الفلسطينية، وثانيهما في غزة ممثلاً في سلطة حركة حماس، التي انفردت بالسيطرة على القطاع، وأزاحت مؤسسات السلطة الفلسطينية، التي يفترض أن تكون وحدها ممثلة للفلسطينيين وناطقة باسمهم، هذا فضلاً عن استشراء الفساد وسوء الإدارة في المناطق الفلسطينية، وإزدياد التذمر الشعبي من كل ذلك.

إن الإعلان عن تفاصيل هذه الصفقة المشؤومة على خطورته، لا يعني، بشكل تلقائي، أنها ستمرّ، وما زال بإمكان الشعب الفلسطيني وقواه الحية الشريفة أن تتصدى لها ببسالة وتفشلها، إذا ما تمكّن الفلسطينيون من تجاوز خلافاتهم وانقساماتهم، واتفقوا على خطة مواجهة استراتيجية، وتصرّفوا بمنطق الثورة لا بمنطق السلطة، وبالتأكيد سيكون هذا الموقف إن تحقق رافعة لتضامن شعبي عربي واسع مع أشقائنا في فلسطين.

وشعبنا في البحرين شأن كل الشعوب العربية الشقيقة يضع قضية فلسطين في مكانها الطليعي بين القضايا العربية، وسيستمر متمسكاً بهذا الموقف الذي هو عليه منذ نشوء هذه القضية عام 1948 وقبله، وأي موقف خلاف ذلك لا يُمثلنا ولن يرضاه شعبنا، وسينظر إليه على أنه خروج على إرادته.

التقدمي

اللجنة المركزية لـ«التقدمي» في دورتها الرابعة

# مناقشة القضايا التنظيمية والوضع السياسي ودعوة لتجنيب المنطقة مخاطر المواجهة

عقدت اللجنة المركزية للمنبر التقدمي دورتها الإعتيادية الرابعة بتاريخ ٢٤ ديسمبر ٢٠١٩، حيث ناقشت القضايا المدرجة على جدول أعمالها، وبحثت التقارير المقدّمة من المكتب السياسي حول عمل لجان وهيئات «التقدمي»، وأقرّت ما يلزم من قرارات وتدابير ترمي لتطوير العمل التنظيمي وتفعيله، بما يتواءم والمهام الملقاة على عاتق التنظيم في مجالات الأداء السياسي والتنظيمي والنقابي والنشاط الجماهيري.

كما شدّد الاجتماع على دور قطاع الشباب والعمل على تعزيز نشاطه وفاعليته وتذليل المعوقات التي تحول دون ذلك، وقد خلص إلى قرار بعقد اجتماع خاص للجنة المركزية لمناقشة هذا الموضوع، لبحث هذه المعوقات وإقرار تدابير من شأنها تعزيز مشاركة الشباب في العمل الجماهيري لتحقيق طموحتهم المستقبلية.

واطلعت اللجنة المركزية على خطط وبرامج «التقدمي» المقبلة، وعلاقاته التنسيقية مع بقية الجمعيات السياسية والشخصيات الوطنية في الملفات المعيشية وفي القضايا ذات الصلة بالشأن العام، وأشادت بما تحقق في هذا المجال بما يستجيب لحاجات الوطن للخروج من دائرة الركود السياسي وتنشيط المناخ العام في البلاد.

وتوقف الاجتماع أمام العقبات التي تعترض عمل الجمعيات السياسية، مؤكداً على موقف «التقدمي» الثابت بضرورة ضمان حق هذه الجمعيات في التعبير عن مواقفها ورؤاها السياسية، وهو الحق الذي يضمنه الدستور وقانون الجمعيات السياسية، ورفضه لكافة صور التضييق على مساحة حرية الرأي الذي بات ملحوظاً، لا سيما تكرار منع فعاليات بعض الجمعيات السياسية.

واطلع الاجتماع أيضًا على الملفات التي ناقشها مجلس النواب في الفترة الأخيرة ذات الصلة بالقضايا التي تهمّ المواطن البحريني، وأثنى على أداء أعضاء كتلة «تقدّم» النيابية، وما يقومون به من جهود، رغم كل الصعوبات، لدفع المجلس لتبني مثل هذه الملفات، واستثمار ما لدى المجلس من أدوات رقابية في ذلك، داعيًا للعمل في سبيل التكامل بين دور النواب ودور الاتحادات والجمعيات في القطاعين العمالي والمهني بما يخدم المصلحة الوطنية المشتركة.

وفي الجانب العمالي لاحظ الاجتماع التعديلات الإيجابية على قانون التأمين ضد التعطل، بما يوسع قاعدة المستفيدين ومدة الاستفادة، غير أن هذه التعديلات ربطت بالتعدي على أموال العمال واستخدامها لتمويل التقاعد الاختياري، وقامت كتلة «تقدم» بتقديم مشروع بإلزام الحكومة بإعادة المبلغ المستخدم في ذلك، على أمل أن يتم إقراره لحفظ مستحقات العمال وأن لا تكون سابقة لحل عجز الحكومة من مستحقات العمال والمتقاعدين.

ووقف الاجتماع عند التعديلات التي قدمتها "كتلة تقدّم" على قانون العمل والفعاليات التي أقامها القطاع العمالي في الفترة الأخيرة، وعلى رأسها الجهد المشترك مع اللجنة القانونية بتنظيم ورشة للمراجعة الشاملة لقانون العمل وما صدر عنها من مخرجات، تضمّن بعضها مشروع التعديل المقدم للمجلس النيابي من الكتلة.

كما استعرضت اللجنة المركزية تفاقم تردي وضع سوق العمل ووضوح نتائج تصريح العمل المرن، وكذلك تبعات تطبيق برنامج التقاعد الاختياري وما نتج عنه من تردي الأداء الخدمي تجاه المواطنين بسبب نقص الموظفين في القطاع الحكومي، ولاسيما قطاعي التعليم والصحة، بالإضافة إلى استعراض مشروع التعديلات المقدمة لمجلس النواب على قانون النقابات العمالية، الذي يهدف إلى تقييد الحريات النقابية مما يخالف الأعراف النقابية والاتفاقيات الدولية التي صادقت ووقعت عليها مملكة البحرين وينتقص من استقلالية النقابات ويساهم في مزيد من التضييق على العمل النقابي.

وعلى الجانب النقابي، ترى اللجنة المركزية أن الوضع النقابي والتنظيمي في أسوأ حالاته، فالنقابات تتشظى وتنكمش ويتم التضييق عليها، وهناك غياب تام للحوار والتفاوض سواء على مستوى المؤسسات أو القطاعات أو المستوى الوطني، بالإضافة إلى تعمد تجاهل تنفيذ الأحكام الصادرة والتطبيق السليم للقانون.

ويتعين التحذير من المساس بالحقوق العمالية المتمثلة في التأمينات الاجتماعية التي ترعى المتقاعدين وتضمن مستقبل العمال وترعى مدخراتهم، وتدعو الحكومة للالتزام بمسؤوليتها القانونية والدستورية في الحفاظ على التأمينات واتخاذ الاجراءات المطلوبة لتأمين إستدامة الصناديق دون تحميل العمال هذا العبء، كما ينبغي التشديد على ضرورة التصدي للفساد وسوء الإدارة واسترجاع الديون المشطوبة والأموال المهدرة ومعالجة المخالفات التي يعجّ بها تقرير ديوان الرقابة المالية، إلى جانب تعديل أسس تشكيل مجلس إدارة التأمينات ليصبح التمثيل متكافئاً بين العمال وأصحاب العمل والحكومة.

إن التعامل مع ملف التأمينات الاجتماعية بمنظور السياسيات النيولبرالية المتبعة في البلد، والاعتماد على نصائح البنك وصندوق النقد الدوليين والتوجه إلى الخصخصة سيؤدي إلى المزيد من لنيل من الحقوق والمكتسبات إلى ما ينجم عن ذلك من تداعيات سلبية، ولنا في النتائج الكارثية للدول الأخرى التي اختطت هذا الخط خيرمثال.

بالمقابل نجد التأخر في تنفيذ مخططات البنية التحتية، لاسيما في المناطق السكنية المستحدثة، وفي نوعية العمل الذي تمّ إنجازه فيها، وبدل أن تسعى الدولة إلى دعم التنمية الاقتصادية بتشجيع الاستثمار وفي إنتاج السلع الصغيرة والمتوسطة وسنّ القوانين التي تعفي الشرائح الفقيرة والطبقات الكادحة من الضرائب، وتحمي المواطن من استغلال الشركات الأجنبية والمنافسة في سوق العمل، قامت بفرض الضرائب على المواطنين دون تمييز لوضعهم المعيشي ومستواهم الطبقي لتغطية فشلها في إدارة العجلة الاقتصادية وسد العجز في الميزانية.

كما قامت الدولة بتشجيع القطاع الخاص في الاستثمار في الجانب الخدمي في قطاعات حيوية مثل الصحة والتعليم والطاقة، حيث ترتب على تراجع وتردي مستوى هذه الخدمات في القطاع العام توجّه المواطنين مضطرين إلى خدمات القطاع الخاص، ما أضاف أعباءً إضافية على المواطن، حيث يضطر الكثيرين إلى الاقتراض من أجل سداد الفواتير والضرائب أو من أجل توفير تعليم أفضل لأبناءهم، أمام انخفاض مستوى التعليم العام.

وعلى الصعيد الصحي تزداد الخدمات الطبية سوءًا، وهنا أيضًا يضطر كثير من المواطنين إلى الاقتراض من البنوك لإجراء عمليات جراحية ضرورية لا تحتمل التأخير، بعد أن أصبحوا غير قادرين على الحصول على مواعيد قريبة لإجرائها، ناهيك عن عدم توفير الأدوية والأجهزة والأدوات الطبية بما يتناسب والعدد المضطرد في الزيادة السكانية، وقد لوحظ في السنوات الأخيرة نقص وحتى انعدام بعض الأدوية الطبية الضرورية في المستشفيات والمراكز الصحية، وما كل ذلك إلا أحد ثمار وصفات البنك الدولي وصندوق النقد الدولي السيىء الصيت في تحميل الطبقات الفقيرة والكادحين عبء الأزمات الاقتصادية.

على صعيد آخر أشاد الاجتماع بالقرارات الملكية التي تمّ بموجبها إطلاق سراح بعض المحكومين، واستبدال عقوبة آخرين، منوها إلى الحاجة الفعلية للتوسع في مثل هذه القرارات التي من شأنها إشاعة الاستقرار وتعزيز النهج الإصلاحي، حيث باتت جليةً الحاجة الماسة والضرورية للانفتاح على الداخل وإتاحة مساحات أرحب من الحرية والتعبير عن الرأي، وأن تكون تلك فاتحة لإجراءات شاملة تنهي تداعيات الوضع السلبي الذي نشأ في البلاد بعد أحداث عام 2011.

وقد أثبتت تجارب السنة المنقضية مدى تطلع الشعوب نحو مستقبل جديد خال من الفساد والذي هو ظاهرة طبيعية مصاحبة لقمع حرية الرأي والتعبير لما يسبغه على الفاسدين من حماية لا يطالها القانون، وتشهد التطورات في بلدان مثل السودان والجزائر والعراق ولبنان وإيران، على أن الشعوب لم تعد قادرة على الاستمرار في النهج السياسي المتفرد بالقرار والسلطة، آملين في سرعة استيعاب الحاجة إلى مشروع مصالحة وطنية يفتح أمام بلادنا آفاقاً أرحب، ويحمي وطننا من أية مخاطر جراء الوضع الإقليمي المتوتر.

إن أمن بلداننا وسلامة شعوبنا هما في إنهاء حال التصعيد الراهنة في المنطقة، التي يمكن أن تنزلق في أية لحظة إلى مواجهات مدمرة، تدفع بلداننا أثماناً باهظة لها، خاصة وأن أي مواجهة عسكرية في المنطقة ستفوق هذه المرة في مداها ومخاطرها ما عرفته من حروب في العقود القليلة الماضية، سواء كانت الحرب العراقية – الإيرانية أو مغامرة اجتياح أراضي دولة الكويت من قبل صدّام حسين وتداعياتها، أو غزو العراق من قبل الأمريكان.

الحل هو في تغليب منطق العقل والحكمة، والإبتعاد عن حال حافة الهاوية التي تعيشها المنطقة اليوم، وتجنيب بلداننا وشعوبنا شبح كوارث مدمرة، إن لم يجر تدارك الموقف. وهذا لن يكون ممكناً إلا بنزع فتيل التوتر وتسوية النزاعات سلمياً، وإطفاء كافة بؤر التوتر، والكفّ عن التدخل في الشؤون الداخلية للبلدان الأخرى، في انتهاك واضح للسيادة الوطنية للدول وتمزيق لنسيجها الوطني، وإملاء خارجي على خياراتها وخيارات شعوبها، التي يهمها أن تكون سيّدة مصيرها.

**اللجنة المركزية للمنبر التقدمي**

**٤ ديسمبر ٢٠١٩**

# الرفيق جواد المرخي يحاضر عن تاريخ الحركة النقابية العربية

قدّم الرفيق النقابي جواد المرخي محاضرة في ملتقى التقدمي بتاريخ 5 يناير 2020 محاضرة بعنوان (شيء من تاريخ الحركة النقابية العربية) أدارتها الرفيقة إيمان الشيخ. وقدّم فيها نبذة تاريخية عن بواكير نشوء الطبقة العاملة ونضالها من أجل حقوقها ومن أجل التحرر الوطني والاجتماعي في البلدان العربية، مشيراً إلى سعي الأنظمة السياسية العربية لتشكيل نقابات واتحادات عمالية تابعة لها، من أجل الوصاية على الحركة النقابية ومنع استقلاليتها.

كما أعطى الرفيق المرخي فكرة عن تأسيس الاتحاد الدولي العرب للنقابات في عام 1956، وما عصفت به من خلافات في وقت لاحق، خاصة بعد زيارة السادات للكيان الصهيوني عام 1977، وتاثير الخلافات والتناقضات الداخلية في الاتحاد على قيامه بدوره في الدفاع عن حقوق العمال العرب، وأدى ذلك أيضاً إلى تشظي الحركة النقابية العربية، وقيام هياكل بديلة، حيث لم تعد الحركة النقابية بالقوة والتأثير اللذين كانتا لها فترة التأسيس والمدى القومي واليساري، حيث تسلقت قوى ووجوه انتهازية أو ذات ميول مذهبية إلى مواقع القيادة النقابية.

في ورشة نظمّتها اللجنة السياسية

# مناقشة المستجدات الإقليمية وتأثيراتها

نظمّت اللجنة السياسية في «التقدمي» بتاريخ 19 يناير 2020 حلقة حوارية "حول المستجدات في الاقليم وتأثيراتها"، تحدث فيها الرفيق عادل المتروك نائب الأمين العام ومسؤول العلاقات السياسية والخارجية، الذي قدّم عرضاً وافياً للمستجدات التي تعيشها المنطقة في ظل تصاعد التهديدات المتبادلة بين إيران والولايات المتحدة، وبالاخص بعد اغتيال الجنرال الإيراني قاسم سليماني، واستمرار الاحتجاجات المستمرة منذ عدة أشهر في العراق ولبنان ضد الطبقة السياسية الحاكمة وضد المحاصصة الطائفية والفساد والفاسدين، واستمرار الاحتجاجات في الجزائر منذ حوالي عام. كما سّلط الضوء على استمرار التحركات الجماهيرية في إيران بسبب سوء الأوضاع المعيشية، التي جوبهت بقمع وبطش شديدين.

وجرت بعد ذلك نقاشات بين الحاضرين، تناولت المخاطر التي تحدق بالمنطقة في حال اندلاع أي مواجهة واسعة، وما سينجم عنها من تهديد الاستقرار والأمن في بلداننا، واستنزاف المزيد من ثرواتها في تمويل أي حرب محتملة، بدل ان تذهب عائدات النفط للتنمية المستدامة وتأمين استقرار بلداننا ورخاء شعوبها، وقدمت مداخلات حول تشخيص الوضع من أوجهه المختلفة، بخلفياته السياسية والاقتصادية وعلاقة ذلك بالنزاعات الإقليمية، وما قد تجرّه من مخاطر إضافية غير التي عاشتها المنطقة.

فضفضة

# صيادو الروبيان العزيز الذي ذلْ

عيسى الدرازي

قلب قرار حظر صيد الروبيان بطريقة الجر القاعي (الكراف) وبصورته المفاجئة تلك، حال صيادي الروبيان من حال إلى حال. أخذ قرار الحظر طريقه للتنفيذ مع تأكيدات الجهات الرسمية بأن هناك طرقاً أخرى لصيد الروبيان غير الطريقة المتعارف عليها منذ سنوات، ولكن أحداً لم يعرف عما تتحدث عنه تلك التصريحات بالطرق البديلة، بل ورغم توقف سفن الصيد الروبيان عن العمل لم تتوقف الأسواق عن استقبال كميات هائلة من الروبيان عبر وسيط لمن هم على قدر من الثقة للقيام بذلك دون مساءلة.

بعد توقف صيادي الروبيان عن دخول البحر لما يفوق العام، جاء قرار مجلس الوزراء بتعويض حملة رخص صيد الروبيان عبر شراء الأصول من بوانيش وعدة الصيد وتحويل رخص صيد الروبيان إلى رخص صيد الأسماك.

ولكن وبحسب الصيادين فإن التعويضات المرصودة للصياد الواحد لا تكفي، فهي بالكاد تغطي القيمة السوقية للسفن ولعدة الصيد، ولكنها لا تغطي أبداً الفوائد البنكية التي اقترض منها الصيادون لشراء هذه السفن وعدة الصيد، ولا تغطي أبداً تأمين العيش الكريم بعد الانقطاع عن المهنة بعد أجيال من العمل في ذات المهنة ودون مصدر رزق آخر.

أثيرت مسألة تعويض صيادي الروبيان في جلسة مجلس النواب مؤخراً، حين كان الوزير المعني بالملف في مناقشة عامة مع النواب لوضع حد لمعاناة الصيادين وعوائلهم الذين دارت عليهم الدوائر وسالت دمعة عزيزهم، والمقاطع المرئية المصورة كثيرة وتنتشر بين يوم وآخر تحكي عن تلك المعاناة وما آلت إليه أوضاعم بعد قرار الحظر.

اللافت مما قيل في الجلسة حينها، تصريح قيادي في وزارة البلديات أكدّ فيه وجود مساعي لإنشاء شركة للاستزراع السمكي مُكوّنة من الحكومة وأصحاب المهنة. بالإضافة إلى عدد من المداخلات أكدت على تأسيس شركة تعاونية للصيادين، واعطاء الأولوية لأصحاب المهنة في التدريب اللازم في مجال الاستزاع السمكي.

انشاء شركة تعاونية للصيادين فكرة تحتاج لتطبيق سريع لدينا، سبقتنا في ذلك دولة الإمارات العربية المتحدة مثلاً عبر انشاء جمعيات تعاونية للصيادين في إمارات كدبي وأبوظبي، تهدف إلى توجيه الدعم اللازم للصيادين عبر تسويق منتجاتهم وتوزيعها على نقاط البيع المتعددة وتوفير عدة الصيد وغيرها من احتياجات الصيادين بصورة تعاونية وتكافلية يسهم فيها الصياد بمساعدة الصياد.

لقد تاخر كثيراً انشاء شركة مساهمة تعاونية للصيادين، وكان من الممكن تنفيذها قبل سنوات طويلة والاستفادة من خبرات دول الجوار في ذلك، والأهم الآن نقل الفكرة نحو التطبيق لتتجه الجهات المعنية بتأسيس شركة للاستزراع السمكي وتوزيع حصصها على الصيادين وكمرحلة أولى الصيادين الذين يحملون رخص صيد الروبيان الذين سلّموا رخصهم، وأن توزع عوائد الشركة على الصيادين وان يستلموا إدارتها عبر مجلس ادارة، وتوفر لهم كافة التسهيلات والتدريب اللازم من أجل نجاح هذه التجربة وتطويرها لتشمل كافة الصيادين من حملة رخص صيد السمك.

# البحرين في مؤشر مدركات الفساد

بحضور نخبة من المهتمين بالشأن الاقتصادي وممثلي بعض مؤسسات المجتمع المدني المعنية، وبإدارة الرفيق خليل يوسف الأمين العام للمنبر التقدمي، قدّم رئيس جمعية الشفافية البحرينية شرف الموسوي وعضو الأمانة العامة لجمعية التجمع القومي الباحث الاقتصادي د. حسن العالي ندوة، ضمن فعاليات ملتقى التقدمي، تحت عنوان «مؤشر مدركات الفساد 2019– البحرين الطموح والواقع»، استعرضا فيها معطيات مهمة عن الجزء المتعلق بالبحرين في التقرير السنوي لجمعية الشفافية العالمية.

وأوضح المتحدثان أن التحسن المحدود في ترتيب البحرين في التقرير الجديد، رغم إيجابيته، لا يعبر عن تغيير حقيقي في آليات مكافحة الفساد في البحرين، ولا في نطاق وحجم هذا الفساد، خاصة مع غياب الكثير من التدابير المتبعة دولياً في مكافحته، وبينها إنشاء هيئة مستقلة لمكافحة الفساد.

وشارك الحضور في المناقشات التي تلت تقديم المحاضرين لورقتيهما، وجرى التأكيد على ضعف أداء السلطة التشريعية في المجال الرقابي، بما في ذلك التقاعس عن توظيف ما تنطوي عليه التقارير السنوية لديوان الرقابة المالية والإدارية من توثيق لتجاوزات ومخالفات مالية وإدارية جسيمة، وهدر للمال العام وعدم الالتزام بمعايير النزاهة والشفافية والكفاءة في مساءلة الوزراء والمسؤولين.

وأكدّ المحاضران والحضور على أن مكافحة الفساد ليست منفصلة عن الشأن السياسي، وكلما ضاقت مساحة حرية التعبير وضيق على مؤسسات المجتمع المدني ولم تتوفر للسلطة التشريعية الصلاحيات الكافية إزداد تفشي الفساد، وضعفت إمكانيات السيطرة عليه ومحاسبة المتورطين فيه من ذوي النفوذ.

رضي السمّاك يحاضر عن دلالات

# فوز منتخب البحرين بكأس الخليج

في أجواء فوز منتخب البحرين الوطني لكرة القدم بكأس الخليج لأول مرة منذ قيام الدورة، قدّم الباحث والكاتب رضي السمّاك ندوة في ملتقى التقدمي الأسبوعي بتاريخ 12 يناير 2020 بعنوان «الدلالات الوطنية لفوز منتخبنا بكأس الخليج»، وتولت الرفيقة منار السمّاك تسيير الأمسية التي اكدّ فيها السماك على ما كان لهذا الفوز من أبعاد عكست التلاحم الوطني البحريني، وأدخلت البهجة في قلوب البحرينيين في ليلة الفوز.

تناول المحاضر أربعة محاور هي على التوالي: العوامل التي مكّنت منتخبنا الوطني من الفوز بكأس الخليج في الدورة 24، مظاهرالفرحة بالفوز وتعزيز اللحمة الوطنية، أسباب عدم الفوز بالكأس طوال الخمسين سنة الماضية، آفاق تطوير كرة القدم والحركة الرياضية في البحرين.

وأشار المحاضر أنه جمع الكثير من المعلومات من المهتمين بكرة القدم وتاريخها في البحرين، وبينهم بعض المحررين في الصفحات الرياضية في الجرائد الصادرة في البحرين وبالأخص الكتاب الرياضيين المخضرمين منهم حيث تربطه علاقات زمالة مع العديد منهم عندما كان

يعمل في الصحافة البحرينية، وقد مكّنته تلك المعلومات من تكوين فكرة وافية عن تأسيس الأندية الرياضية منذ عشرينيات القرن الماضي في المحرق والمنامة وكذلك في القرى، وعن دخول كرة القدم البحرين في بدأية عشرينيات القرن الماضي على يد الإنجليز فترة سيطرتهم على البلاد.

كما أعاد المحاضر الذاكرة إلى تأسيس اتحاد كرة القدم في 1957، وما كان له من دور في إقامة الدوري، وتوقف عند إقامة أول دورة لكأس الخليج العربي في البحرين سنة 1970، ومع ذلك كان على منتخبنا أن ينتظر نحو خمسين عاماً لينال الكأس بفوزه في الدوري الأخير.

# الوطن العربي محمية للفاسدين

جواد المرخي

كأن الفقر والعوز والبطالة والتشرد من المسلمات التي كتب على الشعوب العربية أن تحت طائلتها. وفي المقابل فإن الأنظمة العربية تعيش أجواء من الرفاهية الفائقة نتيجة للتلاعب بأموال الشعوب تحت عناوين الفساد المالي والإداري المستشري في مفاصل النظام العربي من المحيط حتى الخليج.

حول هذه المسألة قد نظم المنبر التقدمي في 9 ديسمبر 2019 مهرجانًا خطابيًا تحت عنوان «معاً ضد الفساد»،

بمناسبة اليوم العالمي لمحاربة الفساد، وفي المهرجان أكدت الجمعيات السياسية المشاركة وممثلو المجتمع المدني على ضرورة الإصلاح السياسي والاقتصادي والتنمية المستدامة كخطوات فعّالة في مكافحة الفساد بأشكاله المختلفة، وقد أصبحت ظاهرة الفساد مكشوفة في البحرين ويرصدها التقرير السنوي للرقابة المالية على مدار الأعوام منذ عام 2002 وليومنا هذا ولكن لم يصل العقاب لأي سارق من المال العام ومن المبذرين له و المتلاعبين به.

نعم؛ إن الفساد هو ظاهرة عالمية لها ارتباط بنموذج الاقتصاد الرأسمالي العالمي وتحدث في الدول المتطورة، ولكن هناك دولاً وضعت قوانين رادعة ضد من يتلاعبون بالأموال العامة وضد من يتقاضون الرشاوي، وتطبق على المخالفين من أعلى هرم السلطة للأدنى، بينما لا توجد في الوطن العربي قوانين لحماية المال العام من السراق، والسبب هو أن اوطاننا حاضن وحام للفاسدين على جميع الأصعدة، وإن وجدت قوانين فهي لا تطبق على الجميع خصوصاً أصحاب النفوذ والهيمنة على القرار السياسي.

معظم الدول العربية ليس فيها قضاء مستقل بل هو مسيس وخاضع للأوامر السياسية، لذا يستشري الفساد حتى في وسط المجتمعات العربية بما فيها مراكز القرار التشريعي مثل البرلمانات ومجالس الشورى، في غيب آليات المساءلة، فيما غالبية الدول العربية مدانة لصناديق النقد الدولية بالمليارات من الأموال ومن يدفع الفاتورة هي الشعوب العربية على شكل ضرائب مختلفة وعلى شكل تدنٍ للمستوى المعيشي وخصوصاً في مستوى الأجور مع استمرار تدهور الخدمات التعليمية والصحية والاسكانية وزيادة رقعة الفقر والبطالة هذا حتى في أغنى الدول العربية.

وإذا خرجت الجماهير العربية للشوارع لتطالب بحقوقها وبتحسين لظروفها المعيشية والاجتماعية تتهم بالعمالة لهذا الطرف أو ذاك ليلقي اللوم عليها وعلى القوى الوطنية والسياسية المساندة للمطالب، ويجري تغييب قياداتها في السجون ويتعرض المتظاهرون لشتى أنواع القمع الشديد، وهذا ما نراه بأعيننا اليوم في البلدان التي تشهد الاحتجاجات

في ندوة نظّمها قطاع الشباب والطلبة بـ«التقدمي»

# معـاناة وتطلعـات الشبـاب مـن أفـواههـم

نظمّ قطاع الشباب والطلبة بالمنبر التقدمي ندوة لمناقشة هموم ومعاناة وتطلعات الشباب البحريني وتطلعاتهم نحو واقع أفضل تولي فيه الجهات الرسمية الاهتمام اهتماماً بهم، وتحقق طموحاتهم في التعليم والعمل والتدريب والسكن وغيرها من حقوق، بعنوان: «الشباب الحريني.. إلى أين؟»، وقدمت في الندوة ورقتان، أولاهما لحسين الإسكافي من جمعية ملتقى الشباب البحريني، والثانية من حسين غنام ممثل قطاع الشباب والطلبة ب«التقدمي»، كما شهدت مداخلات حيوية من الحاضرين الشباب الذين تحدثوا عن أوجه معاناتهم.

### حسين الإسكافي

بدأت الندوة بورقة حسين الإسكافي التي سلط فيها الضوء على بالإشارة إلى ما أورده الموقع الرسمي للأمم المتحدة، حول وجود نحو 1.8 مليار في عمر الشباب في الوقت الحالي، تتراوح أعمارهم بين 10 و 24 سنة في العالم، ويشكل الشباب الشريحة الأكبر من السكان في المنطقة العربية، و بحسب تقرير منظمة اليونيسف التابعة للأم المتحدة، فإنه يوجد حاليا في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، 124 مليون من فئة الأطفال و الشباب ، حيث يشكل من هم دون الـ24 عاما حوالى نصف عدد سكان المنطقة.

ثم تناول الإسكافي أهم الموضوعات التي تهمّ الشباب وهي كالتالي:

مئات الخريجين البحرينيين سنوياً في طابور البطالة

في هذ العام كان العنوان الرئيسي لليوم العالمي للشباب والـذي أحيت تحته الأمم المتحدة فعاليات هذا اليوم، هو (النهضة بالتعليم)، لكن تأتي هنا العديد من الأسئلة، أبرزها: هل لا يزال التعليم يمثل أولوية مهمة للشباب؟ هل الحكومات سواء في البحرين أو المنطقة العربية مهتمة في إحداث نهضة حقيقية بالتعليم؟

تأتي أهمية هذه الأسئلة لأننا نجد شريحة واسعة من الشباب عازفين عن التعليم، أو مشككين في إمكانية أن يوفر لهم مستقبلًا أفضل، في الوقت الذي تخرّج فيه جامعة البحرين والجامعات الخاصة المئات من الطلبة سنويا، ناهيك عن الطلاب الذين يكملون دراستهم الجامعية في الخارج و يجد معضمهم نفسه في طابور البطالة الذي لا يدرون هل يستمر أشهر أو سنوات – وفي ذات الوقت هناك عجز واضح عن وضع خطط تنمية حقيقية تنهض بمستوى التعليم، وتوفر فرص العمل اللازمة والملائمة للشباب.

وأضاف الإسكافي: هناك مجموعة من الأسئلة الأخرى المهمة والتي يجب أن نطرحها على أنفسنا هنا ونفتح مسارات عقولنا للبحث عن إجابات واقعية عنها:

هل نحن على الطريق الصحيح في تحقيق أهداف التعليم مقارنة مع دول العالم؟ هل ما ندرسه من تخصصات تتواكب مع متطلبات سوق العمل بعد 5 أو 10 سنوات؟

ماذا نردّ على البعض الذين يريدون حصر التعليم العالي على المتفوقين( الشطار)، بحجة أن فتح الباب على مصراعيه يؤدي إلى تخريج أفواج كبيرة من الطلاب الجامعيين، مما يؤثر على مستوى الخريج و بالتالي على فرص حصولهم على فرص عمل، حيث الحل، حسب هؤلاء، هو في ضرورة التوسع في التعليم الفني!

ما الذي يجب علينا فعله تجاه الأصوات التي بدأت تعلو، ويطالب أصحابها بخصخصة التعليم سواء الأساسي أو التعليم الجامعي؟

### إحصائيات وزارة العمل عن البطالة قديمة

بعد موضوع التعليم مباشرة تتجه الأذهان نحو سوق العمل – توفر الوظائف – تكافؤ فرص العمل – معدل البطالة – الواسطة وغيرها من العناوين المرتبطة و المترابطة ببعضها.

وفقا للإحصائيات الرسمية الصادرة عن وزارة العمل والتنمية الإجتماعية فإن معدل البطالة في البحرين منخفض مقارنة ببقية دول المنطقة، وأن النسب الموجودة بين 3.8٪ و 4٪ فقط، ولكن الواقع يشير إلى أن هذه الإحصائيات قديمة ، وهناك حاجة إلى التأكد من النسبة الصحيحة، عن طريق أعضاء مجلس النواب، وبالمناسبة فإن أكثر من نصف أعضاء المجلس هم من فئة الشباب، وأتمنى من الأخوة في «ملتقى التقدمي» دعوة عدد من أعضاء مجلس النواب لمثل هذه الفعاليات المتعلقة بالشباب وذلك للتشاور وتحديد أولويات الشباب الحقيقية بعيدا عن فعاليات البهرجات الإعلامية.

يتبع

يتبع

هناك عوامل كثيرة تتحكم بمعدل البطالة وعلى رأسها النمو السكاني والنمو الإقتصادي للبلاد وكذلك الإستثمارات الأجنبية والإستقرار السياسي .. إلخ. وتبرز هنا مجموعة من الأسئلة عما إذا كانت الدولة قادرة على مواجهة البطالة بوضع الخطط الفعالة، أو أن هذه الخطط بطيئة المفعول، وهل ينتظر العاطل أن تجد الدولة الحل؟ كيف يمكن للفرد أن يتعامل مع شبح البطالة وينجو من مأزقها؟!

## حلول أولية مقترحة

### للتغلب الفردي على البطالة

وقدّم الإسكافي ما وصفه ب «بعض الحلول البسيطة على مستوى الأفراد للخروج من من شبح البطالة ولو بشكل مؤقت وهي كالتالي:

البحث عن متطلبات سوق العمل: بمعنى إذا كان نوعية التخصص تجعل من فرص العمل أقل، لا بد من إعادة دراسة سوق العمل للتعرف على متطلباته، وبذلك تستطيع التعرف على ما تحتاجه من خبرات لدخول سوق العمل.

"تعلّم شيئًا جديدًا": بناءا على دراسة متطلبات سوق العمل المحلي والإقليمي يمكنك أن تتعلم أشياء جديدة ربما تكون مغايرة بشكل مطلق عن التخصص الذي درسته، ولا تعتقد بأن كتساب مهارات جديدة قد يكون مضيعة للوقت – لأن من أفضل الإستثمار والذي لا يعد خسارة أبدا هو الإستثمار في المعرفة.

فكّر في مشروعك الصغير: المشاريع الصغيرة من أكثر الآليات فاعلية في مواجهة البطالة على مستوى الدول، لذلك يجب التفكير بإنشاء مشروعك الخاص والذي قد يحتاج إلى تمويل بسيط في البداية.

اعمل في المنزل freelance: بفضل تطور عالم الإتصالات و ال"سوشال ميديا" أصبح العمل من المنزل أمراً متاحاً بشكل كبير، صحيح ما فيه إستقرار لكن بالتأكيد أفضل من البطالة."

### تجارب شبابية ناجحة

وأشار الإسكافي إلى أن هناك البعض ممن يمتلك قاعدة جماهيرية (فولورز) على السوشال ميديا إتجهوا نحو بعض الأعمال كالتسويق للمنتجات والمحال التجارية والمطاعم وغيرها، وهذا ليس حصرا على الرجال، وهناك نماذج لشباب وشابات ناجحين، بينهم نموذج أبو خليل الستراوي، وشابة اسمها أم بيان، وكثيرون غيرهم.

## شباب البحرين

### لا يترفعون عن المهن المختلفة

وأوضح الإسكافي أنه يورد هين المثالين في خانة الرّد على تصريح رئيس غرفة التجارة والصناعة والذي قال إن الشباب البحريني لا يريد العمل في كل المجالات وذلك بسبب ثقافة العيب!، وأوضح المتحدث: «الشباب البحريني يعمل في كل المجالات، ولا يعرف في العمل شيئًا اسمه العمل عيب، لدرجة أن مقطعاً من مسلسل كوميدي يجري تداوله للفنانين الكويتين عبدالناصر درويش وحسن البلام يقلّدان فيه اللهجة

البحرينية، ويمثلان شخصيات من الشباب البحرينيين يغسلون سيارات ويعملون كسواق تاكسي!.

وتساءل الإسكافي: هل هناك ما هو أبلغ من هذا يا رئيس الغرفة!

### الإحباط والأزمة النفسية لدى الشباب

واصل الإسكافي حديثه بالقول: يعيش معظم الشباب الإحباط وسوء الحالة النفسية بسبب عدم الحصول على فرصة عمل ملائمة بعد تعب ودراسة لمدة 16 سنة على أقل تقدير – 12 سنة المراحل الدراسية الثلاث و 4 سنوات جامعية، حيث يفكر الشباب والشابات بعد هذا العمر في تكوين حياتهم: يفكرون في الزواج وتكوين أسرة، لكنهم يصطدمون بأول حاجز وهو الوظيفة. إذا وجدوا الوظيفة فهي في غالب الحالات لا تتناسب مع المؤهل الدراسي لا من قريب ولا من بعيد، كأن يقولوا لشاب دراس الطيران أو الطب تعال اشتغل في حفريات! يعني لا المؤهل يناسب ولا المرتب!

الذي يحز في النفس، يقول الإسكافي، إن تجد المواطن بلا عمل، أو يعمل في وظائف متدنية جدًا في الوقت الذي تجد فيه الأجنبي ينتقل من وظيفة إلى أخرى، وقد لا يكون حاملًا مؤهل جامعي، والسبب هو عدم التدقيق في معظم الشهادات التي يأتي بها بعض الأجانب، بل أصبحت هناك مافيات وشركات توظف فقط أبناء جلدتها ويتم التضييق على المواطن للخروج من الوظيفة.

لذلك علينا ألا نستغرب حينما نسمع أن بعض الشباب يصابون بالإكتئاب والعديد من الأمراض النفسية بسبب ما يعانون منه على أرض الواقع في قبالة الأحلام الوردية التي كانت تملأ خيالهم في فترة أيام الدراسة. و حينما نسمع ونرى ما يعانيه الشباب تستذكر الشاعر عبدالرحمن المعاودة في بيت الشعر: «يشقى بنوها والنعيم لغيرهم/ كأنما والحال عين عذاري».

## دعوة لتخصيص

### يوم للشباب في البحرين

في إطار أهمية الاهتمام بالشباب والإصغاء لمشاكلهم دعا

حسين الإسكافي، في ختام ورقته، إلى تخصيص يوم للشباب البحريني كما هو حاصل في سلطنة عمان، حيث اختيرايوم 26 من أكتوبر من كل عام يوما للشباب العماني.

كما دعا الإسكافي إلى تخصيص برنامج تلفزيوني اسبوعي يسلط الضوء على ابرز المشاكل والمشاريع التي يواجهها الشباب و كيفية معالجتها، وإبراز منجزاتهم ونجاحاتهم، وبالمثل تخصيص برنامج إذاعي اسبوعي يسلط الضوء على ابرز المشاكل التي يواجهها الشباب وكيفية معالجتها، وصفحة اسبوعية خاصة في كل الصحف البحرينية تتناول ذات الموضوع.

## حسين غنّام

من جانبه قال الرفيق حسين غنّام من قطاع الشباب والطلبة في المنبر التقدمي إن شريحة الشباب تمثل النسبة الأكبر من مجموع السكان وبالتالي هم الاكثر عددًا وتاثيرًا، فحسب ألرقام الرسمية تبلغ نسبة الشباب 40٪ من السكان، ورغم ما تتمتع به هذه الفئة من نشاط وحيوية وطاقة وتطلع للمستقبل، إلا أن ثمة معوقات ومشاكل تواجهها تحول دون ذلك.

## العمل والتشغيل

لا تعاني البحرين من انعدام فرص العمل، بل هناك مئات وآلاف من الفرص الوظيفية، وهو ما تعلنه وزارة العمل والتنمية الاجتماعية مرارا وتكرارا، لكن المشكلة في أماكن أخرى، بينها:

تدني الأجور للحد الأدنى لمتطلبات العيش، حيث أن هذه الأجور لا تفي في أغلب الاحوال بمتطلبات الحياة الكريمة، ولا تمكن للشاب من تكوين اسرة خاصة في ظل ارتفاع الاسعار وتزايد الضرايب والرسوم.

كثير من الوظائف التي تشملها برنامج التوظيف التى تطرحها وزارة العمل لا تتوافق مع المؤهلات العلمية والشهادات الأكاديمية.

مزاحمة العمالة الوافدة للعمالة الوطنية حيث يؤدي

يتبع

عدم تقيّد المؤسسات والشركات التجارية بنسبة بحرنة معينة، بالإضافة إلى رفض فكرة حصر بعض الوظائف على البحرينين فقط، وتفضيل اصحاب العمل للعمالة الوافدة لأسباب كثيرة منها تدني اجور هذة العمالة واستغلالها بالعمل لساعات طويلة وأيام العطل.

عدم تحقيق برامج التدريب للأهداف المنشودة، حيث لا زالت مخرجات هذه البرامج ضعيفة وسطحية لا تؤدي إلى تطور مهارات المتدرب. وقد شهد مجلس النواب مناقشات حول دعم تمكين للمعاهد التدريبية ومدى قدرتها على تقديم برامج نوعية للشباب بحيث اصبحت اولويات بعض المعاهد تحقيق الربح السريع.

### التعليم

لا يمكن الحديث عن أي مستقبل للشباب دون وجود تعليم حديث ومتطور في المدارس والجامعات والمعاهد، ولكن ما نراه حسب ورقة غنّام، هو:

تدهور قطاع التعليم بشكل عام وقد شهدت جلسة المناقشة العامة بمجلس النواب التي عقدت مؤخرًا نقاشًا مستفيضا خلص إلى تحديد العديد من المشكلات في المدارس، بينها نقص الكادر التدريسي، تكدس الصفوف التعليمية بأعداد كبيرة من التلاميذ وتأخر توزيع بعض الكتب الدراسية.

اعتماد المناهج الدراسية على الحفظ والتلقين والإبتعاد عن الابتكار والذكاء والفهم.

عدم استيعاب جامعة البحرين لكافة الخريجين وعدم تلبية رغباتهم، مما أدى إلى افتتاح عدد كبير من الجامعات الخاصة، دون التدقيق في مدى كفاءة خريجي هذه الجامعات، لأنها مسألة نسبية تختلف من جامعة لأخرى ومن طالب إلى آخر. والمشكلة لا تنحصر في هذا وإنما تشمل أيضًا الرسوم الباهظة في هذه الجامعات التي تثقل كاهل الأسر البحرينية، بعد ان افتقر التعليم العالي الحكومي لجامعات تسع اعداد الخريجين وتوفر لهم التخصصات كافة، فعلى سبيل المثال لا توجد لدينا جامعات حكومية تقدم تخصصات كالطب وبعض فروع الهندسة.

المنع الضمني للعمل الطلابي الحقيقي والمطلبي بالمعايير النقابية داخل المدارس والجامعات واقتصاره على مجالس استشارية، وهو أمر أدى إلى موت الحياة الطلابية، التي يجب ألا تقتصر على الدراسة الاكاديمية فقط، وإنما هي مصانع تخرج الشباب وتدرّبهم على الحياة والعمل والسياسة والاجتماع.

### الشباب

### وأزمة السكن

عرضت ورقة غنّام أيضاً لمعاناة الشباب مع أزمة السكن، التي هي واحدة من أكبر العقبات التي تحول دون تمكن الشباب من تكوين الأسر، ومن أوجه هذه المعاناة، كما بسطتها الورقة:

تأخر الحصول على الخدمات الإسكانية سنوات طويلة تضيع من زهرة أعمار الشباب مما يعني اضطرار هذه الفئة إلى السكن بالإيجار المكلف الذي لا طاقة لهم عليه، وعودة نظام الأسر الممتدة التي يعيش فيها جميع الأبناء مع زوجاتهم وأطفالهم في مسكن واحد.

صغر مساحة الوحدات الإسكانية اذا كانت بيتًا، وعدم كفاية القرض الاسكاني لشراء بيت او بنائه.

تدهور الخدمات البلدية وعدم اصلاح وتعبيد الطرق والإزدحام المروري وازدياد الكثافة السكانية حيث تعتبر البحرين من أكثر الدول كثافة، إذ تبلغ المرتبة الرابعة عالميًا: 877 فرد لكل كيلومتر مربع، ومؤخرًا نشرت جريدة "القبس" الكويتية (في مارس 2019) أن المنامة تعدّ أكثر المدن تلوثًا في الشرق الأوسط، والخامسة عالميًا.

### الشباب والعمل

### السياسي: سبب أو نتيجة؟

وفي ختام ورقته تناول غنّام قضية عزوف الشباب عن العمل السياسي، متسائلاً : هل عزوف الشباب جزء من أزمة العمل السياسي أو انها نتيجة لهذه الأزمة، بمعنى هل أن عزوف الشباب عن العمل السياسي المنظم سبب من اسباب ركود الحياة السياسية أو أن ما تعانيه هذه الحياة السياسية من أزمات أدى الى هذا العزوف؟

الجواب على هذا السؤال برأي المتحدث يحتاج إلى وقت أطول من المتاح، إلا أنه يمكن القول إن الإجابة هي في أن الأمرين صحيحان، لكن يمكن تفسير( وليس تبرير) هذا العزوف في أن العمل السياسي اذا لم يفضِ إلى نتيجة تتمثل في تحقيق مطالب المواطنين وترفع عنهم ما يعانونه من أزمات كالفقر والبطالة وتدهور المستوى المعيشي، فإنه بلا شك سوف يؤدي إلى عزوف ليس الشباب وحدهم، وإنما كافة الفئات العمرية، داعيًا الشباب إلى الإنخراط في العمل السياسي المنظم وتولي المسؤوليات بالرغم من المعوقات وان يتمسكوا بالامل .

### مداخلات شبابية

ثم فتح باب النقاش للحضور، وقدّمت مداخلات عدة، بينها مداخلات للشباب أنفسهم.

الشاب عبدالله عيسى علّق على ما ذكره رئيس غرفة التجارة والصناعة عن ترفع الشباب البحرينيين عن بعض الأعمال قائلاً: «أنا عملت منذ كان عمري ستة عشر عامًا في أكثر من وظيفة متواضعة، ولاحظت استغلال الشركات للدعم الحكومي المقدم للشباب بأساليب ملتوية لتجاوز قوانين الوزارة .

الشاب صادق جعفر تحدّث عن صعوبة الحصول على وظيفة «دون واسطة» من جهو أو شخص ما حتى وإن كان ذلك براتب متدن، كما تطرق إلى «وساطة» المسؤولين الأجانب في الشركات لذويهم وأقربائهم من نفس الجنسية.

الشاب علي إبراهيم تحدث عما وصفه شبح شركات ال out sourcing ، حيث توجد في البلد كثير من الشركات تدعي بالإلتزام بالبحرنة بينما يبرمون عقوداً مع شركات أخرى لتوظيف الاجانب حيث ان غالبية الإدارة هم من الجالية الهندية، وبالاخص في تخصصات الهندسة وتقنية المعلومات، بينما بإمكان ربّ العمل توظيف البحريني بأقل تكلفة عن طريق برنامج الدعم الحكومي، ولكنه لا يريد تحمل مسؤولية العامل البحريني ومساءلته من قبل الوزارة.

وتحدث أيضًا عن عدم وجود أي خطة ورؤية واضحة لمستقبل التوظيف، مما أدى إلى وجود مئات الطلاب في نفس التخصصات، فيما البلد لا تستوعب هذه الأعداد، ومن ذلك تدريب دارسي الطيران فيما المتاح من الوظائف أقل بكثير، ما يعني أن أموال التدريب تذهب سدى.

وانتقد علي ابراهيم في ختام مداخلته أقوال رئيس غرفة التجارة عن كسل البحرينيين، وأضاف أنه لا الحكومة ولا الجمعيات السياسية تمتلكان خطة واضحة عن احتياجات الشباب والبلد.

معقباً على ردّ وزيرة الصحة حول زراعة الأعضاء البشرية

# فلاح هاشم: لماذا لا يستفاد من الكفاءات البحرينية التي تعتمد عليها مستشفيات كبيرة في دول شقيقة مجاورة؟

في تعقيبه على رد وزيرة الصحة فائقة الصالح أورد عضو كتلة «تقدّم» النائب فلاح هاشم عدة ملاحظات تتصل بجوانب مختلفة من موضوع زراعة الأعضاء البشرية.

فعلى الصعيد التشريعي قال هاشم: «إن الوزارة أولت اهتمامًا بالغًا ببرنامج زراعة الأعضاء البشرية منذ التسعينات من القرن الماضي حيث صدر المرسوم بقانون رقم (١٦) لسنة ١٩٩٨ والذي ينص في المادة (١١) على أن يصدر وزير الصحة القرارات اللازمة لتنفيذ أحكام هذا القانون، ومضى ٢٢ عاماً والوزارة تردّ اليوم بأن اللائحة ما تزال في طور المناقشة ولم تصدر بعد. ولا نعلم متى سيتم إقرارها ونشرها في الجريدة الرسمية كما تشير اجابة الوزارة.

**السؤال هل تحتاج الجهات المعنية وفي مقدمتهم وزارة الصحة لـ ما يقارب 22 سنة لوضع هذه اللائحة، فيما دولة شقيقة لنا هي الإمارات أصدرت لوائحها التنفيذية عام 2010 رغم أننا سبقناها في تشريع هذا المجال؟**

**وعلى الصعيد الفني أوضح النائب فلاح هاشم أنه رغم الاتفاق مع الوزارة في مبدأ التعاون مع المؤسسات الطبية المختلفة، إلا انه يحقّ لنا أن نتساءل: أليس الأجدى أن نتعاون مع المختصين البحرينيين الذين لم يقتصر سجلهم المشرف في هذا المجال داخل الوزارة فقط ولعشرات السنين وانما خارجها أيضًا، بما فيها المؤسسات التي نستعين بهم كمستشفي الملك فهد التخصصي بالدمام الذي يستعين بأحد الجراحين البحرينيين في إجراء زراعة الكلى هناك، وهو نفسه من أجرى عمليات كلى لمرضى بحرينين في مستشفى الملك فهد فلماذا لاتتم هذه العمليات في مستشفيات البحرين؟**

**وحسب هاشم فإن مستشفي الملك فهد التخصصي ليس الوحيد الذي يستعين بأحد الجراحين البحرينيين في اجراء زراعة الكلى، بل هناك طبيب آخر يجري عمليات في مستشفيات في دول أخرى يُعتّد بها على المستوى العالمي، في حين أن وزارة الصحة تستنكف من التعاون معهم رغم كل محاولات التواصل معها. وتتحدث الوزارة أن لديها اتفاقية للتعاون في مجال زراعة الكلي مع ذات المستشفيات، ألا ترون أن هناك تناقضاً؟ أليست الاستعانة بالأطباء البحرينيين أوفر وأكثر أماناً للمرضى، علماً بأن وزارة الصحة تستعين بجراحين من المملكة الأردنية للقيام بإجراء عمليات زراعة كلى في البحرين بالتعاون مع فريق من الاختصاصين البحرينيين، فلماذا لا يتم التعاون مع الجراحين البحرينيين الموجودين في البحرين ذوي الخبرة والسمعة الطيبة على مستوى الخليج؟**

**وأضاف النائب هاشم: ردّ الوزارة عن عدد عمليات زراعة الكلى في البحرين قول إنه يتراوح ما بين 8 الى 10 سنوياً، فألا يعتبرهذا العدد ضئيل جداً في بلد يبلغ عدد مرضى الفشل الكلوي فيه حوالي 800 مريض؟ وهم في ازدياد مستمر هذا عدى مدى توافق هذا العدد الضئيل من العمليات على المعايير والإرشادات الأكديمية الخليجية والعالمية والتي تنص على ما يزيد عن هذا العدد؟**

**كما تساءل عن سبب لجوء عدد كبير من المواطنين للسفر بغرض العلاج في الخارج والتي تكلف مبالغ طائلة هذا عدى المخاطر التي يتعرض لها الكثير من المواطنين والتي سبق وحذرت الوزارة منها، رغم ما نشهده من حملات التبرع المتعددة لعلاج المرضى المنتشرة في البحرين، مما يوجب على الوزارة التوسع في هذه العمليات ويؤكد على الحاجة إلى مركز متخصص لهذا النوع من العمليات كما يطالب به أصحاب الاختصاص وفي مقدمتهم عضو مجلس الشورى الدكتور احمد العريض وهو من أوائل الأطباء المختصين في هذا المجال؟**

**وختم هاشم ملاحظاته على ردّ الوزيرة بالقول إن الرد تحدث عن الحملات والبرامج التوعوية لتشجيع المجتمع على التبرع بالأعضاء وأهميته، لكن ماذا عن نقل الأعضاء من المتوفين الذي تمّ ايقافه؟ وألم يحن الوقت لتقنينه والعمل به مع العلم أن الدول الشقيقة كالمملكة العربية السعودية ودولة الكويت ودولة الامارات العربية سبقتنا في ذلك بفترة لست قليلة.**

**ويلاحظ، حسب هاشم، أن الرد يقول بأنه جارٍ التحضير لإجراء أول عملية لزراعة الكبد إذا تكللت الجهود بالنجاح في هذا العام 2020، علماً بأنه كانت هناك خطة لإجراء اول عملية عام 2015، فما هى المعوقات التي حالت دون ذلك وما هى إجراءات ضمان نجاح هذه الخطط؟.**

## مطرقة البرلمان

# التعاون بين السلطات.. رافعة التطور الديمقراطي

عبد النبي سلمان

من وجهة النظر الصرفة، لا يختلف اثنان حول أهمية القاعدة الراسخة المرتبطة بمبدأ التعاون بين السلطات بالنسبة لأي نظام ديمقراطي ناشىء، متطور أو حتى عريق في الممارسة الديمقراطية، كما أن ذلك ينطبق ويتوافق مع مختلف أنظمة الحكم سواء كانت ملكية أو جمهورية او غيرها، لا فرق، فالمسألة هنا ترتبط وثيقًا بمدى جدّية النظام السياسي بكل عناصره ومقوماته في رسم معالم تطوره ونجاحه عبر ديمومة الممارسات الفاعلة التي يفترض أن تحميها التشريعات والقوانين الناظمة لمجمل العمل السياسي، وليس فقط الطموحات أو حتى الرغبات الشخصية التي بطبيعتها من الممكن جدًا أن تجنح باتجاهات ربما تكون متناقضة مع الطموحات الشعبية أو حتى الرسمية أحيانًا، مما يحتم على جميع عناصر ومكوّنات العمل السياسي أن تتوافق فيما بينها على حالة سواء، لتحقيق أقصى قدر من الرضا العام من أجل ضمان استمرارية نجاح وتطور الممارسة الديمقراطية المنشودة.

مناسبة هذا الكلام نجد لها صدى ومغزى في حالة التفاعل القائمة بين السلطتين التنفيذية والتشريعية لدينا هنا في البحرين، باعتبار البحرين تعيش منذ اطلاق المشروع الاصلاحي لجلالة ملك البلاد مطلع الألفية الجديدة وحتى الآن حراكًا سياسيًا كثيرًا ما مرّ ويمر بمنعرجات وحالات صعود وهبوط وحتى تراجع في أحايين كثيرة.

ولذلك أسباب متعددة بكل تأكيد، لا مجال هنا للخوض في كل تفاصيلها وتشعباتها، لكن من اليسير على المراقب لتجربتنا الديمقراطية الوليدة، بما تحمله من عوامل نجاح وتطور وما يعتريها من تراجعات وحالات خفوت في وضعية التقدم المنشودة، انها ترتبط في العديد من مراحل صعودها تحديدًا بحالة المزاج الشعبي ومدى القناعة المتحققة حول أداء السلطتين التنفيذية والتشريعية حيال العديد من الملفات، خاصة تلك المتعلقة بالأوضاع المعيشية واليومية للناس.

من هنا نلحظ بوضوح أن الأداء العام للسلطتين التشريعية والتنفيذية كثيرًا ما يكون على المحك ويمكن الحكم عليه من خلال الانجازات المتحققة ونوعيتها وحجمها أيضا، علما أن نوعية القضايا المطروحة من قبل السلطة التشريعية عادة ما تكون متشابهة عبر مختلف الفصول والأدوار التشريعية، فهي عادة ما تكون مرتبطة بالوضعين الاقتصادي والمعيشي للناس، وقضايا البطالة والأجور والإسكان والحفاظ على المال العام ومحاربة الفساد وحالة وجودة الخدمات التي تقدمها الدولة لمواطنيها، تاركين للحالة السياسية العامة في البلاد البحث باستمرار عن قنواتها ودهاليزها، تبعا لظروف وحالة الوضع السياسي العام في الداخل والمحيط، لتشكيل امكانات وعوامل تطوّرها أو حتى مراوحتها كما يحصل باستمرار.

هنا يمكن القول إن حالة الوضع السياسي العام هذه ترتبط طرديًا، في بعض وجوهها، بمدى ما تحقق من نجاحات أو اختراقات بالنسبة للملفات المرتبطة بالوضعين المعيشي والاجتماعي، وبالتالي فمبدأ التعاون بين السلطات ينعكس حتما على حالة المزاج العام لدى الشارع وحتى لدى السلطة السياسية ذاتها، بما يشكل رافعةً حقيقية لتعزيز مسار التطور المنشود وخلق حالة مرجوة من التوافق بين مكونات العمل السياسي وصولًا لغايات أسمى وأكبر ربما يصعب أو يتعذر الوصول إليها في ظل استمرار وتزايد حالات التشنج والشك والريبة بين أطراف العمل السياسي.

نحن في السلطة التشريعية يمكننا أن نقيس شيئًا من حالة الرضا العام لدى الشارع من خلال مدى ما نلمسه من تجاوب الحكومة أو عدم تجاوبها مع العديد من الملفات المعيشية والحقوقية والاجتماعية التي يطرحها مجلس النواب بوسائله المتعددة والمتاحة، وكثيرًا ما نسعى لخلق تلك القناعة لدى الحكومة من منطلق المصلحة العامة أولًا ودفعًا في تحقيق وترسيخ حالة الاستقرار السياسي، لذلك نظل متطلعين باستمرار لمزيد من التعاون من قبل الحكومة، والإنجاز الذي يجب ألا يتأخر او يتراجع، فللناس طموحات مشروعة وعادلة في تحقيق حياة افضل وهذا لن يتحقق إلا بتعزيز العمل المشترك والتكامل بين السلطات باعتباره رافعة للتطور الديمقراطي في البلاد.

تمكين
Tamkeen

## منح المؤسسات الصغيرة والمتوسطة مقعداً في (تمكين) ضرورة

أوضح عضو كتلة «تقدّم» النائب يوسف زينل أن حصول المؤسسات متناهية الصغير والصغيرة والمتوسطة على مقعد داخل مجلس إدارة صندوق العمل «تمكين»، ضرورة من أجل تحقيق التوازن داخل هذا المجلس الذي يصنع قرارات تهمّ جميع المؤسسات، صغيرها وكبيرها.

وفي التعليق على ما دار في جلسة مجلس النواب التي ناقشت الموضوع قال إن هناك قناعة نيابية عامة بضرورة منح المؤسسات الصغيرة والمتوسطة مقعداً في «تمكين» مشيراً إلى أن إعادة المقترح للجنة الخدمات من أجل المزيد من الدراسة كان خياراً صائباً، لوضع تفصيل أكبر للمقترح وتهيئة التنفيذ.

وتابع: ضمن تصوراتي التي سأصيغها على هيئة مقترح، أن يكون هذا المقعد من بين المقاعد الثلاثة المخصصة لغرفة تجارة وصناعة البحرين، على أن توكل مهمة اختيار ممثل المؤسسات الصغيرة والمتوسطة إلى وزارة العمل والتنمية الاجتماعية.

وأردف: التصور الثاني، هو زيادة عدد مقاعد مجلس إدارة «تمكين» بمقدار مقعد واحد، وتخصيصه إلى ممثل المؤسسات الصغيرة والمتوسطة، وتتولى وزارة العمل والتنمية الاجتماعية اختياره، منوهاً إلى أهمية منح وزارة العمل صلاحية هذا الاختيار لضمان عدم غلبة طرف على طرف.

# يوسف زينل يحثّ وزارة الإسكان على الشفافية والعدالة واعتماد الأقدمية في توزيع الوحدات السكنية

دعا عضو كتلة «تقدّم» النائب يوسف زينل إلى اعتماد الأقدمية معياراً وحيداً لتوزيع الوحدات السكنية. جاء ذلك في إطار تعليقه على الأوامر الصادرة من قبل سمو ولي العهد والخاصة بتوزيع 5 آلاف وحدة جديدة.

وأضاف: يمثل معيارالأقدمية السبيل الوحيد لتحقيق العدالة وتجاوز أخطاء السنوات السابقة والتي تراوح التوزيع فيها بين معياري الأقدمية والمناطقية مخلفاً نتائج غير عادلة، وبسببها ظلّ مواطنون على قائمة الانتظار لنحو 20 عاماً وأكثر، وآن الأوان لتصحيح ذلك، لأننا نرى أن المسيرة الإسكانية بحاجة للمزيد، من أجل توفير القدرة على خفض عدد طلبات الانتظار والتي يضاف لها الآلاف سنوياً.

وتعليقاً على مرسوم القوة الاحتياطية بالدفاع

## زينل يدعو إلى تعميق اللُحمة الوطنية

من جهة أخرى قال زينل تعليقاً على مرسوم «القوة الاحتياطية بقوة الدفاع» إن ذلك يشكل حماية

لتحصين البلد من أية مخاطر محتملة، حيث الأحداث المؤسفة التي يشهدها الإقليم، وحماية الوطن من أسمى الواجبات وأكثرها أولوية.

يذكر أن التعديلات التي أدخلت على المرسوم تتضمن إلزام الجهات الحكومية بدفع رواتب عضو القوّة الاحتياطية الذي يتمّ استدعاؤه للخدمة في القوة الاحتياطية في حالة الطوارئ أو الحرب أو لتدابير التعبئة العامّة، كما يُلزم المرسوم الجديد القطاع الخاص بدفع 30٪ من راتب الموظف الذي يتمّ استدعاؤه للخدمة العسكرية في القوّة الاحتياطية، وذلك لمدّة سنة كاملة، فيما تتحمّل قوة الدفاع أجر الموظف في حال بقائه في الخدمة العسكرية لأكثر من سنة.

وتابع زينل: الثقة كبيرة في مختلف الجهات بما في ذلك القطاع الخاص لتحمل المسئولية الوطنية، والتعاون في تنفيذ ما تضمنته التعديلات التي ستسهم دون شك في تعميق اللحمة الوطنية عبر التفاف الجميع حول راية الوطن.

في المناقشة العامة لملف الصيادين

## أليست عمليات شفط الرمال والردم أخطر على البيئة البحرية من صيد الروبيان ب»الكراف»؟

أوضح النائب فلاح هاشم عضو كتلة «تقدّم» أن ما ذهبت اليه الوزارة المعنية في تبرير منع بحارة بوانيش صيد الروبيان من عملهم هو اعتمادهم على طريق وحيدة هى (الكراف) والتي هي حسب إدعائها سببب تدمير البيئة البحرية، متسائلا: هل يبرىء من يقومون بعملية شفط الرمال والدفان الواسعة من المساهمة في تدمير البيئة البحرية، ولماذا لم توقفها الوزارة طالما هي قلقة على البيئة البحرية، أم لأن المنتفعين من ذلك لا يمكن توقيفهم؟

وقال هاشم: "جميع الصيادين المعتمدين على صيد الربيان أو صيد الاسماك يؤكدون أن مواقع عملهم مختلفة لطبيعة اختلاف قاع البحر، حيث يتواجد معظم الروبيان في القيعان الطينية في حين تتركز الأسماك في الفشوت، ولذلك لا تأثير لعملية صيد الروبيان على صيادي الأسماك. كما أن السؤال يطرح: هل عملت الوزارة على إيجاد طرق أو أدوات صيد أخرى ولماذا لم تحصر نشاط بوانيش صيد الروبيان في منطقة دون غيرها مثلًا.

وفي حين توقف وتمنع البحارة من الإستعانة بالبحرينين كمساعدين ومرافقين لهم في رحلات صيد الأسماك وتسجل عليهم مخالافات حتى وان اصطحب البحار أحد ابنائه في أيام الاجازات، وفي ذات الوقت يغصّ البحر بالوافدين، فمن هم الأحق بارتياد البحر والانتفاع منه بالصيد المواطنون ام الوافدون؟

وختم فلاح تساؤلاته بالقول: "هل إلغاء رخص بحارة الربيان وتحويلهم إلى عاطلين او ممن يستحقون المساعدات الاجتماعية عن طريق وزارة العمل أو الجمعيات الخيرية هى ما نصبوا اليه من التنمية المجتمعية؟، موضحاً أنه لتنظيم عملية الصيد بمختلف قطاعاتها نحتاج إلى تأسيس شركة تعانية للصيادين تعود ملكيتها لهم يديرونها وتساعدهم الدولة وتدعم تأسيس هذه الشركة.

# لماذا رفض النواب المناقشة العامة لسياسات ديوان الخدمة المدنية؟

لم يكن دستور ٢٠٠٢ حين صدوره ينصّ على طلبات المناقشة العامة كوسيلة من الوسائل الرقابية التي يختصّ بها مجلس النواب في الرقابة على أعمال الحكومة، غير أن التعديلات الدستورية عام ٢٠١٢ اضافت لها وسيلة طرح موضوع عام للمناقشة العامة ضمن تعديلات أخرى، فنصت المادة ( ٦٨ / ب ) من الدستور على أنه (يجوز بناءً على طلب موقع من خمسة أعضاء على الأقل من مجلس النواب، طرح موضوع عام للمناقشة لاستيضاح سياسة الحكومة في شأنه، وتبادل الرأي بصدده، وفقاً للضوابط التي تحددها اللائحة الداخلية للمجلس. ويدرج مكتب المجلس طلب المناقشة العامة في جدول أعمال أول جلسة تالية لتقديمه، ليبت فيه المجلس دون مناقشة).

وتشير المذكرة التفسيرية إلى أن هذه التعديلات بما فيها النص على المناقشة العامة لموضوع عام جاءت (في إطار ما انتهت إليه الإرادة الشعبية في حوار التوافق الوطني من مرئيات بشأن التعديلات التي ترى إدخالها على الدستور القائم....).

هكذا وضع الدستور لمجلس النواب منذ عام 2012 وسيلة جديدة هامة من وسائل الرقابة كان عليه أن يتقن كيفية استخدامها. فهل كان مجلس النواب صائبا حين رفض في جلسته المنعقدة بتاريخ 10 ديسمبر 2019 الطلب الذي تقدم به (14 ) نائباً بشأن طرح موضوع عام للمناقشة العامة لاستيضاح سياسات ديوان الخدمة العامة، إذ صوت 23 نائبا برفض الطلب مقابل 8 نواب فقط صوتوا لصالحه؟.

استند الرافضون لهذا الطلب على أن وقت طرحه يتداخل مع عمل لجنة بحرنة الوظائف بناء على المحاور التي تم وضعها للمناقشة .غير انه مهما كانت المحاور التي اشتمل عليها طلب المناقشة العامة ومهما كانت طبيعة تداخلها مع محاور لجنة تحقيق بحرنة الوظائف، فإن الغاية التي كان يبتغيها هذا الطلب هو الاستيضاح عن سياسات ديوان الخدمة العامة، في حين أن الهدف من تأليف لجنة التحقيق في بحرنة الوظائف هي التحقيق حول المعوقات التي تحول دون بحرنتها، والتأكد من التزام الجهات المعنية بتطبيق القوانين والقرارات واللوائح الداخلية ذات الصلة، والتأكد من أوضاع العمال غير البحرينيين ونوعية الأعمال التي يشغلونها، وأسباب عدم بحرنة تلك الوظائف .

وتختلف الوسيلتان في الاهداف وفي النتائج التي تترتب عليهما نحددها كما يلي:

### أولاً: طرح موضوع عام للمناقشة العامة

طرح موضوع عام للمناقشة العامة يقصد به عند فقهاء الفقه الدستوري والقانون الدستوري المقارن هو طرح موضوع ذي أهمية عامة للمناقشة داخل البرلمان، الأصل فيه أن يشترك فيها جميع أعضائه بقصد استيضاح سياسة الحكومة حول هذا الموضوع، وتبادل الرأي ولا يقصد بهذه الوسيلة المحاسبة أو الإتهام، وإنما فقط مجرد تنوير الحكومة والمجلس حول الموضوعات المثارة في شأنها المناقشة.

وقد حددت اللائحة الداخلية لمجلس النواب الأحكام التي تنظم وتحدد طبيعة طلبات المناقشات العامة في المواد (من 170 إلى 174)، إذ نصت هذه الأحكام على أن الهدف من طرح موضوع عام للمناقشة بحيث يكون متعلقاً بالشأن الداخلي، ومتصلاً بالمصلحة العامة هو استيضاح سياسة الحكومة بشأنه وتبادل الرأي بصدده.

ومن المفترض حسب المادة (173) من اللائحة أن يترتب على هذه المناقشة العامة اقتراحات من الأعضاء تقدم لرئيس المجلس الذي له عرضها على المجلس فور الإنتهاء من المناقشة، و يجوز للمجلس بناءً على اقتراح رئيسه أن يحيل هذه الاقتراحات إلى إحدى اللجان لتقديم تقرير عنها قبل أخذ الرأي عليها.

ويتبين من المواد التي تنظمها اللائحة الداخلية بأنه ليس من بينها ما يلزم الحكومة أن ترد على ما يسفر عن المناقشة العامة من اقتراحات تقدم بها النواب سوى أن تبدي رأيها خلال المناقشة للموضوع المطروح وأحسب ان هذا الذي عناه وزير شئون المجلسين في رده على النائب إبراهيم النفيعي بجلسة 21 يناير 2020 حين أبدى الأخير أسفه على انه (مرت مناقشتين ما شفنا منهم نتائج وما أتمنى أن هذه المناقشة وتوصياتنا تروح بس كلام) فردّ عليه الوزير: (إن الحكومة ملتزمة بالدستور والقانون في شان المناقشة العامة من المادة 170 الى 174 ولن نحيد عنها وهذا التزام من السلطة التنفيذية أمام السلطة التشريعية).

وعلى الرغم من أنه لا شيء في اللائحة الداخلية يلزم الحكومة بالرد على مقترحات المناقشة العامة فإنه كان يتعين على وزير شؤون المجلسين أن يلاحظ فيما طرحه النائب النفيعي شيئًا من الوجاهة وأن يرى أن المناقشة العامة تعدّ من قبيل تبادل الرأي والتعاون بين البرلمان والحكومة من أجل تحقيق المصلحة العامة. وهي خاصية ينفرد بها طرح موضوع للمناقشة عن غيره من وسائل الرقابة تبتغي الوصول إلى حل بتكوين مقترح مشترك مع الحكومة وإصلاح الوضع أو المشكلة محل المناقشة، وعليه يحق للنائب ابراهيم النفيعي وغيره من النواب أن يستفسر من الحكومة على سبيل المثال عن مصير 70 توصية تمّ رفعها للحكومة لإصلاح السياسة التعليمية وعن مدى تعاون الحكومة مع هذه التوصيات على اثر المناقشة العامة التي اجراها المجلس بهذا الشأن.

المحامي حسن إسماعيل

### ثانياً: تشكيل لجان التحقيق

يعتبر حق البرلمان في تشكيل لجان التحقيق من أهم الوسائل تنص عليها دساتير الدول في مواجهة السلطة التنفيذية، إذ يستطيع بهذه الوسيلة أن يفرض رقابة فعالة على أعمالها. وتمتاز وسيلة تأليف لجان التحقيق عن غيرها من وسائل الرقابة على الحكومة أنها لا تعتمد على ما يُقدمه الوزراء لها من بيانات، وإنما يتحرى البرلمان بنفسه ويستقي البيانات من مصادرها الأصلية.

والهدف من تشكيل لجان التحقيق هو التأكد من حدوث وقائع محددة، وأن يتوصل البرلمان إلى الوقوف على حقيقة معينة عن طريق فحص عمل معين أو سياسة معينة، فهو إجراء يلجأ إليه البرلمان بقصد الاستنارة والتي على ضوئها يمكن أن يحدد موقفه باستعمال وسائل رقابية أخرى قد تصل إلى حد الاستجواب. وقد نصت اللائحة الداخلية لمجلس النواب على الأحكام الإجرائية والموضوعية لطلبات التحقيق في المواد (من 160 إلى 164)، إذ يحقّ لمجلس النواب حسب المادة (160) في كل وقت أن يؤلف لجاناً أو أن يندب عضواً أو أكثر من أعضائه للتحقيق في أي أمر من الأمور الداخلة في اختصاصه.

وللقائمين بالتحقيق طبقا للمادة (163) أن يتخذوا كافة الإجراءات اللازمة للحصول على البيانات والمعلومات والأوراق المتعلقة بما أحيل إليهم من موضوعات. وعلى جميع الجهات المختصة أن تعاون القائمين بالتحقيق فى أداء مهمتهم، وعليها أن تقدم لهم الوسائل اللازمة لجمع ما يرونه من أدلة، وأن تمكنهم من أن يحصلوا على ما يحتاجون إليه من تقارير أو بيانات أو وثائق أو مستندات.

ويترتب على التحقيق أن تقدم لجنة التحقيق تقريرها إلى المجلس، على ان يشتمل هذا التقرير كما تنص المادة (164) على ما اتخذ من إجراءات لتقصى جميع الحقائق عن الموضوع المحال، والمقترحات بشأن علاج ما تبين من سلبيات. ويناقش المجلس التقرير فى أول جلسة تالية لتقديمه.

### الخلاصة

مما تقدم يتضح أن هناك فروقات جوهرية بين وسيلة المناقشة العامة ولجان التحقيق من حيث الأهداف والنتائج، وما كان على مجلس النواب أن يرفض طلب المناقشة العامة حول سياسات ديوان الخدمة المدنية بحجة تداخل محاوره مع محاور لجنة التحقيق في بحرنة الوظائف، بل أن المناقشة العامة لاستيضاح سياسات ديوان الخدمة العامة وعلى ضوء ما توصل إليه تقرير الرقابة المالية والادارية من نقاط ضعف شاب سياسات الخدمة المدينة سيعزز ويساند بما تصل إلية لجنة التحقيق في البحرنة من نتائج، وحين تكون المناقشة العامة وجهاً لوجه وتحت بصر الجمهور ستحقق الهدف الهام من هذه المناقشة وهو التأثير على الرأي العام والمجتمع بمؤسساته المدنية الذي يتعين أن يكون مسانداً لمجلس النواب.

غير أن الظاهر يكشف ان الحكومة ووزارة التربية والتعليم، وبعض من النواب قد ازعجتهم المناقشة العامة التي أجراها المجلس بفعالية حول السياسة التعليمية، فكانت سببا لرفض المناقشة لاستيضاح سياسات ديوان الخدمة العامة التي تهم قطاعًا واسعًا من المجتمع.

بصراحة

## ٦٥ سنة على تأسيس جبهة التحرير الوطني

# صفحات مضيئة في تاريخ البحرين

يحتاج الباحث، عند كتابة أو تدوين التاريخ أو أي حدث، إلى الوثائق وما كُتب عن تلك الفترة أو الحدث، وبالأخص عندما يغيب من ساهم في ذلك التاريخ عن الحياة أو يتوارى عن المشهد السياسي، فلا يرغب في الحديث عن تلك الأيام النضالية القاسية، التي كان جزءً منها ويعرف العديد من الأسرار التي مضى عليها سنوات وعقود من السنين، ولا يريد البوح بما يعلم، وبعض الأحيان لا تتوفر كل المعطيات، إذا كان المرء يريد أن يوّثق لتلك المرحلة الهامة في حياة الشعب وحركته الوطنية الديمقراطية بشكل موضوعي من خلال ما توفرّ له من معلومات وما كتب عن الحدث.

فاضل الحليبي

**أنا بصدد الكتابة عن الذكرى ال 65 لتأسيس جبهة التحرير الوطني البحرانية في 15 فبراير 1955، بالرغم بأنه كتب عنها في السابق العديد من المقالات، وأنا شخصياً كتبت عنها أكثر من مرة، وبالتأكيد فإن مسيرة طويلة مثل هذه كانت فيها الإيجابيات والسلبيات وبالأخص أن الجبهة كانت تنشط في ظروف العمل السري، والحملات البوليسية التي تعرضت لها على أيدي جهاز المخابرات بقيادة المقبور البريطاني آيان هندرسون ومن سبقوه، إضافة إلى القمع والترهيب ومصادرة وثائق وأدبيات الجبهة.**

**لازالت هناك أحداث وأنشطة قامت بها الجبهة لا نعلمها، كما يوجد في الأرشيف البريطاني شيءٌ من تلك الوثائق والأدبيات الجماهيرية والحزبية، وهناك معلومات وأسرار ذهبت مع الرفاق الذين غادروا الحياة مبكراً أو فيما بعد، وأعتقد بعضها كان مهماً لو تمّت الكتابة عنها وبالأخص من قبل الذين كان لديهم مسؤوليات قيادية وأصحاب قرار في السنوات الأولى للتأسيس وبعدها، لكي يكتب بشكل واضح وموضوعي بعيداً عن الإنحياز أو العصبية الفئوية.**

**جاء تأسيس الجبهة من قبل كوكبة من المناضلين العمال والمثقفين الثوريين كأول حزب ماركسي لينيني في البحرين وفي الخليج العربي، حيث كان أعضاؤها من جميع مكونات الشعب وهذا يحسب للجبهة، بعكس ما كان يردده البعض بأن المؤسسين كلهم كانوا من حزب تودة الإيراني، وهذا غير صحيح، وهو ما أكّده المناضل القائد الراحل علي دويغر في مقابلة له مع (جريدة الوسط) في عام 2002، كما أكّده المناضل القائد الراحل أحمد الذوادي في ندوة في مقر المنبر التقدمي في الزنج بالمنامة بمناسبة الذكرى ال 49 لتأسيس الجبهة في 2004 وكانت إدارة الندوة من كاتب هذا المقال.**

**هذا لا يعني بأن رفاقنا الرواد الأوائل لم يتأثروا بمناضلي حزب تودة وكذلك بالحزب الشيوعي العراقي، وبالأخص القائد الشهيد الرفيق حسن نظام والقائد العمالي الرفيق الراحل علي مدان بحكم علاقاتهما العائلية وسفراتهما المتكررة إلى إيران التي أغتيل فيها الشهيد الرفيق حسن نظام من قبل جهاز المخابرات الإيرانية آنذاك السافاك في عام 1958، وهما من مؤسسي الجبهة والرفيق المناضل الراحل علي دويغر بحكم تواجده للدراسة الجامعية في العراق من عام 1956/1958، حيث استفاد كثيراً من أعضاء الحزب الشيوعي العراقي وتوطدت علاقاته الرفاقية مع بعض الاحزاب الشيوعية العربية.**

**وجاء تأسيس الجبهة في خضم النضال الوطني ضد الاستعمار البريطاني والرجعية، الذي قادته هيئة الاتحاد الوطني (1954 / 1956)، حيث شارك رفاقنا في الإضرابات والاحتجاجات الشعبية في تلك الفترة الهامة، وبعد القضاء على هيئة الاتحاد الوطني، وسجن ونفي قادتها وكوادرها وأعضائها، برز دور الأحزاب والتنظيمات الوطنية في البحرين لتواصل رفع راية النضال الوطني ضد المستعمر البريطاني والرجعية، وكان لجبهة التحرير دور بارز وإنْ كان سرياً. كتبت الجبهة الشعارات الوطنية في البيانات وعلى الجدران في المنامة والمحرق وبعض القرى منادية باسقاط الاستعمار ومطالبة بإطلاق سراح المعتقلين وعودة المنفيين، ونتيجة لهذا النشاط تعرضت الجبهة لحملة اعتقالات في عام 1957، وتعتبر هذه أول حملة بوليسية على الجبهة بعد مرحلة التأسيس، ولكن الحملتين الأكثر تأثيراً عليها كانتا في 1960و1961، حيث تعرض كوادر وأعضاء من الجبهة للاعتقال والسجن والنفي وقضى البعض سنوات في السجن.**

**جاءت تلك الحملتان والجبهة في البدايات الأولى من التأسيس وتركت تأثيراً سلبياً على نشاطها، ولكن القيادة ردت عليهما بإصدار برنامج الجبهة في عام 1962، برنامج (الحرية والاستقلال الوطني والسلم والتقدم الاجتماعي)، كأول وثيقة سياسية تصدر من حزب سياسي بحريني يحتوي على 15 بنداً، أهمها نيل البحرين الاستقلال الوطني والحرية من نير الاستعمار البريطاني ، تشكيل مجلس وطني تشريعي منتخب وقيام حكومة وطنية ديمقراطية، وتأسيس نقابات عمالية، وجلاء القواعد العسكرية من البلاد، وهي أهداف تحقق جزء منها في سنوات لاحقة.**

**شاركت الجبهة في انتفاضة مارس 1965، مع القوى الوطنية الأخرى في البحرين وأصدرت البيانات المشتركة وبعضها طُبع من قبل الجبهة، الانتفاضة التي كان العمال والكادحون والمرأة والطلبة وقودها الرئيسي بمشاركتهم الواسعة والمؤثرة وهي التي جاءت على أثر فصل أكثر من 1500 عامل من شركة بابكو ، وسقط فيها ستة من شهداء شعبنا وزُجَّ بمناضلي القوى الوطنية في السجون والمعتقلات، بالرغم من شدة القمع من قبل المستعمرين والقوى الرجعية، حافظت الجبهة على وجودها التنظيمي والسياسي.**

**أخبرني القيادي في الجبهة الرفيق الراحل عبدعلي الخباز، أنه بعد**

يتبع

يتبع

تفجير سيارتي بوب وأحمد محسن من جهاز الأمن آنذاك في مارس 1966، بمناسبة الذكرى الأولى لانتفاضة مارس 1965 ورداً على تعذيب مناضلي الجبهة والحركة الوطنية في السجون زادت شعبية الجبهة وأراد الكثير من الشباب الانضمام إلى الجبهة، اعتقد البعض بأنها تؤمن بالكفاح المسلح والعنف، وهي بالتأكيد لا تؤمن به في تلك الظروف، و رغم ما يقره ميثاق الأمم المتحدة ومن حق الشعب أن يمارس أي شكل من أشكال المقاومة لطرد المستعمر الأجنبي من بلاده، وحتى العملية كانت هناك ظروف فرضت على الجبهة القيام بها تمّ ذكرها سلفاً.

في عام 1968 اعتُقِل المناضل والفنان الراحل مجيد مرهون وفيما بعد صُدر حكمٌ قاسيٌ ضده الحكم بالسجن المؤبد، ولم يطلق سراحه إلا في أبريل من عام 1990، بالرغم من نيل البحرين استقلالها الوطني في الرابع عشر من أغسطس في عام 1971، وضمن حملة اعتقالات واسعة طالت العديد من مناضلي الجبهة في البحرين والسعودية، عرفت في أدبيات الجبهة بضربة عام 1968، لكنها اخفقت في إيقاف نضالات الجبهة.

سوف يبرز نشاط الجبهة ومنظماتها الجماهيرية العمالية والشبيبة والطلابية في سنوات مابعد الانتفاضة مارس 1965، وتتوسع علاقاتها الخارجية مع الأحزاب الشيوعية والعمالية والبلدان الاشتراكية، والنظام الوطني في مصر بقيادة الزعيم الخالد جمال عبد الناصر الذى سمح للجبهة بفتح مكتب لها في القاهرة في منتصف ستينيات القرن الماضي حتى مجيء نظام السادات في عام 1970 الذي أغلق معظم مكاتب أحزاب ومنظمات حركات التحرر الوطني العربية في السنوات الأولى من حكمه، بما فيها مكتب الجبهة.

شاركت الجبهة في العديد من الاحتجاجات والإضرابات في السنوات الأولى من سبعينيات القرن الماضي وكان أبرز تلك الاحتجاجات الانتفاضة العمالية في مارس 1972، والتي على أثرها دعت السلطة إلى انتخابات المجلس التأسيسي الذي كان نصفه منتخباً والنصف الآخر معيناً لإقرار أول دستور في البلاد ، والذي صدر في يونيو من عام 1973، وقد قاطعت الجبهة انتخابات للمجلس التأسيسي، ويظل محل نقاش مدى صواب هذا القرار، والغياب عن المجلس الذي أقرّ دستوراً لأول مرة في البلاد.

لهذا كان قرار المشاركة في انتخابات المجلس الوطني قراراً صحيحاً وصائباً، ففي السابع من ديسمبر 1973 حققت جبهة التحرير وحلفاؤها من الشخصيات الوطنية انتصاراً كبيراً عندما فازت كتلة الشعب التي شكلتها الجبهة بثمانية مرشحين من أصل اثني عشر مرشحاً للكتلة، وهو انتصار غير مسبوق في التاريخ السياسي في الخليج ، لهذا تمّ إجهاض التجربة النيابية الأولى في البحرين في 26 أغسطس 1975 من قبل الحكم في البلاد.

استمرّ نضال الجبهة بالرغم من حملة الاعتقالات التي طالت مناضلي الجبهة و الحركة الوطنية في 23 أغسطس 1975، وفي 12 ديسمبر من عام 1976 تم تصفية أحد مناضليها الرفيق الشهيد الشاعر سعيد العويناتي ، كما طالت مناضلي الجبهة حملات اعتقال في عام 1978 كان أبرز المعتقلين فيها المناضل الكبير الرفيق محمد حسين نصرالله الذي استمرّ اعتقاله لبداية 1984، وكانت هناك اعتقالات في صفوف أعضاء الجبهة في اعوام 1981، 1983، 1984، 1985، إلا أن حملة الاعتقالات في عام 1986 أكثرها تأثيراً وقساوة على الجبهة والتي على أثرها استشهد الرفيق الدكتور هاشم العلوي وصدرت أحكام قاسية على العديد من مناضلي الجبهة.

ولا بد هنا من الحديث عن القامات الوطنية البارزة في النضال الوطني في البحرين، ممن كانت لها مواقف مشرفة يتضح ذلك في الالتزام بفكر الجبهة السياسي والفكري منذ بدأية سبعينيات القرن الماضي، وفي مقدمتهما المناضلان الكبيران الراحل محمد جابر صباح، أحمد عيسى الشملان

في بدايات ومنتصف ثمانينيات القرن الماضي نشطت منظمات جبهة التحريرالجماهيرية وعلى رأسها اتحاد الشباب الديمقراطي البحراني (أشدب)، والمنظمات الجماهيرية الأخرى، العمالية والطلابية والنسائية والفنية والثقافية، وتوسع نشاطها في صفوف الجماهير، وصدرت أدبياتها بشكل واسع ، مثل نشرة (الجماهير) لسان حال جبهة التحرير، (الشبيبة) لسان حال (أشدب)، و(صوت العامل) الصادرة عن لجنة التنسيق بين النقابات الأربع واللجان العمالية، صوت الطلبة، صوت المرأة، وغيرها من النشرات والبيانات، والنشرات الصادرة في الخارج عن جبهة التحرير: (النضال) ثم (الفجر) و(طريق الشباب) االصادرة عن «أشدب»، ونشرات منظمات أشدب في الخارج.

في منتصف الثمانينيات من القرن الماضي وتحديداً قبل الضربة البوليسية للجبهة في عام 1986، دارت نقاشات حول تغيير اسم الجبهة إلى "حزب اتحاد الشعب الديمقراطي، وطرح (البرنامج والنظام الأساسي) مشروع التغير إلى (حزب اتحاد الشعب الديمقراطي) أذكر وقتها طرح عليّ أحد قادة الجبهة في الخارج ماهو رأيك في تغيير الإسم ، كان جوابي يعرف شعب البحرين (مناضلي التحرير) باسم (جبهة التحرير الوطني البحرانية)، صحيح كان لاختيار الأسم في بداية التأسيس ظروفه، وبالأخص لوجود المستعمر البريطاني، والجبهة كانت تخوض نضالاً وطنياً تحرري من أجل الحرية والاستقلال الوطني، وبعد نيل البحرين استقلالها الوطني تغيرت الظروف، ولم يعد ضرورة للتحرير الوطني، وأصبح بعد مرحلة استقلال البحرين في عام 1971، وبداية قيام الدولة الوطنية المستقلة وبالأخص بعد صدور دستور عام 1973، مهمة النضال الوطني من أجل إنجاز المهام الوطنية الديمقراطية، لو سارت الأمور بعد انتخابات المجلس الوطني 1973، بدون حلّه في أغسطس 1975، لأصبح الوضع السياسي والدستوري مختلفاً عمّا قام عليه أو سار عليه الحكم في حقبة قانون أمن الدولة السيئ الصيت التي امتدت لربع قرن من عام 1975 إلى 2001 .

في خارج البحرين برزاسم المناضل الكبير القيادي في الجبهة عبدالله البنعلي مسؤولاً عن العلاقات الخارجية لجبهة التحرير منذ عام 1975 حتى منتصف تسعينيات القرن الماضي، أق قرابة عشرين عاماً، وعمل معه فريق من قادة وكوادر الجبهة حيث نجحوا في نسج علاقات واسعة مع الأحزاب الشيوعية والعمالية والقوى التقدمية والديمقراطية في البلدان العربية والعالم.

في تسعينيات القرن الماضي كان ممثلا جبهة التحرير الوطني البحرانية في العريضة الشعبية الرفيقان الراحل الكبير محمد جابر الصباح (النائب السابق عن كتلة الشعب في المجلس الوطني 1973) والرفيق الكبير المحامي أحمد عيسى الشملان، حيث كان لهما دورا بارزا في كتابة العريضة الشعبية وفي اللجنة العليا للعريضة المطالبة بعودة الحياة النيابية للبلاد وإشاعة الديمقراطية والمطالبة بإطلاق سراح المعتقلين وعودة المنفيين وبمشاركة المرأة في الحياة السياسية والانتخابات النيابية، وكان الرفيق المناضل أحمد الشملان الناطق الرسمي باسم العريضة الشعبية في البحرين.

عودة إلى الضربة البوليسية عام 1986 التي شكلت انعطافة خطيرة في التنظيم السياسي الذي كان في السابق يتلقى الضربة تلو الضربة وتخرج منها الجبهة أقوى ويرجع التنظيم ينشط بشكل أفضل، حيث تشكل القيادة للجبهة، صفاً ثانياً وثالثاً كاحتياط لقيادة التنظيم في حال تعرضه لضربة. في عام 1986 اختلف الوضع القيادي للجبهة، حيث كان من استلم المسؤولية القيادية من جيل الشباب الذين لا يمتلكون الخبرة والتجربة مثل القيادات التاريخية في الجبهة لهذا كان الوضع مختلفاً، وبالتأكيد هناك أسباب أخرى أدّت إلى حدوث الهجمة البوليسية على الجبهة يعرفها أصحاب الشأن الذين يمكن أن يكتبوا عنها للتاريخ.

وفي كل المراحل، وبالرغم من كل الضربات البوليسية والظروف الصعبة التي عانى منها مناضلو الجبهة خلال عقود حافظت الجبهة على وحدتها الفكرية و التنظيمية ولم يحدث انشقاق فيها، وهذا يحسب لها، صحيح المركزية الديمقراطية تفرض نفسها في واقع الحزب اللينيني وبالأخص في ظروف العمل السري .

هذه إطلالات سريعة على بعض المحطات النضالية من تاريخ جبهة التحرير الذي لا يزال يحتاج إلى كتابة تفصيلية.

## التصريحات عن إفلاس هيئة التأمين الاجتماعي

# إثارة أم تهيئة للتخصيص (١)

تتصاعد الدعوات يوما بعد آخر حول ضرورة (اصلاح) او تغيير قانون الهيئة العامة للتأمين الاجتماعي، والذي ستكون من نتائجه تغيير قوانين التقاعد بما يتضمنه من امتيازات وحقوق تقاعدية، وذلك عبر تصريحات وتحذيرات عما وصل إليه العجز في صناديق الهيئة بالتزامن مع دعوات ترويجية لصناديق تأمين تجارية .

فلاح هاشم

هذه الدعوات ليست جديدة، وإنما هى قديمة يعاد تكرارها بين فينة وأخرى، ولنتذكر «مشروع تعديل قانون الهيئة الذي قُدّم للمجلس النيابي في فصله التشريع الرابع»، والذي ووجه برفض مجتمعي حال دون إقراره.

جل جديد هذه الدعوات تكرار لما سبق ومنذ عدة سنوات، وطالما ترافق أو دُعّم بتقارير عن وضع الهيئة وصناديقها غير المستقرة، وحالها المتردية والمستمرة في الإنحدار بحيث وصل لمرحلة الإفلاس الفعلي، ويجري تعضيد ذلك ببعض التقارير عن عدم تعادل الكفة بين المصروفات والإشتراكات والتركيز على ما يعتبره البعض نقاط الضعف في هذا النظام.

في حين يتم التغافل عن الجوانب الأخرى التي تشكل أعمدة أساسية في نظام التأمين الاجتماعي مثل الجانب الإداري والاستثماري، بل يتعداها إلى الأساس البنيوي لهذا النظام التأميني، وما يؤمنه من شروط وظروف بحكم انه نظام إجتماعي يمتلك العديد من عوامل القوة في الإستمرارية والنمو وتحمل مسؤولياته على المستوى الوطني إذا ما أدير بطريقة صحيحة وشفافة وبإدارة تتتمتع بالكفاءة.

تتم هذه الموجات من الدعوات بذرائع شتى وبأساليب متعددة، ما يجعلنا نطرح السؤال الكبير: لماذا، ثم نتساءل: هل هو من أجل:

التغطية على الفساد وهدر الاموال العامة التي تشكل اشتراكات العاملين الدور الرئيسي في مصادر التمويل؟

أو لغض العين عن الشبهات التي رافقت معظم استثمارات الهيئة؟

أم أنه للتغطية على العجز الإداري الذي رافق ادارة الهيئة منذ امد طويل؟

ام انه كل ما سبق؟

أم أن هناك ما هو أكبر من كل ما سبق وكما يقال (إن ما في القفص أكبر من العصفور)؟؟

نعتقد، ومما سبق وأن كشفت عنه لجان التحقيق النيابية في الفصول التشريعية السابقة وتقارير الرقابة المالية وما شاهده وعايشه ممثلو العمال عندما كان لهم تمثيل نسبي حقيقي في إدارة هذه المؤسسة من تجاوزات وفساد يؤكد على صحة ووجاهة التساؤلات السابقة من 1 الى 4 .

وإذا ما دققنا فى الأمر فإن هناك تهيئة لشئ آخر (ما هو اكبر من العصفور) يجب أن يقف عنده بتمعن جميع المعنيين بدءً من العامل الذي يدفع الاشتراكات آملاً في تأمين دخل يحميه وأسرته في حالة البطالة أو العجز أو خلافه، إلى من يتحملون المسؤولية المجتمعية من نواب أولاً كممثلين للمواطنين ومسؤولين نقابيين ثانياً، كممثلين عن العمال ويتبعهم أصحاب الرأي ومسؤولي مؤسسات المجتمع المدني.

أعتقد أن الهدف المنشود لهذه الدعوات وما يتبعها من حملات ترويج او ما يتم تسويقه عبر أساليب الحرب الناعمة بتدمير هذاه المنظومة ومكتسباتها على مرّ عشرات السنين يأتي في سياق تهيئة الرأي العام لقبول الخطوات القادمة في خصخصة هذا القطاع، وهو ما يتسق مع التوجه العام في هذه الفترة بتخلي الدولة عن مسؤولياتها الاجتماعية عن طريق خصخصة العديد من القطاعات الإنتاجية والخدمية لصالح شركات مرتبطة بإحتكارات عالمية هدفها السيطرة على الثروة حول العالم لتتحكم فيه ضمن مخطط العولمة (النيوليبرالية) بسيطرة الشركات الاحتكارية متعددة الجنسيات على كل مفاصل انتاج وإدارة الثروة ومن ضمنها صناديق التأمينات الاجتماعية، لما تتمتع به من قدرة مالية من جهة وارتباطها بشريحة واسعة من المواطنين.

ومع الأسف يتّم كل هذا في غياب أو التعتيم على الرأي المعارض لهذا التوجه، أو بدون رأي صريح ونشاط يذكر من المعنيين بالدفاع عن هذا الحق لأوسع شريحة مجتمعية وهم العمال والأجراء رغم الموقف المعلن عبر الأدبيات المتعددة التي تصدر عن الحركة العمالية العالمية وإتحاداتها العمالية بمختلف توجهاتها والمؤتمرات التي تعقدها، وكذلك عبر منظمة العمل الدولية وببنيتها الثلاثية وما تضمنه تقرير المنظمة في دورتها رقم 101 لعام 2012 بما أطلق عليه مسمى (أرضيات الحماية الاجتماعية من أجل العدالة الاجتماعية)، والذي يتعارض مع هذه الخطط رغم أنه في الحقيقة يمثل مشروعًا للتخفيف من آثار النهج الاقتصادي النيوليبرالي المتبع في العديد من البلدان، ويروج لها في منطقتنا بصورة فجة.

يُحتم هذا على جميع المعنيين مسؤولية المحافظة على هذه المنظومة وتطويرها، والحفاظ على طابعها الاجتماعي بموقف معارض لهذه الدعوات الداعية الى تدمير منظومة التأمين الاجتتماعي كمنظومة ذات طابع ومسؤولية اجتماعية ترتكزعلى اساس الطابع الاجتماعي للانسان والتكافل المجتمعي ودور ومسؤوليات الدولة في ذلك، وهو المطبق في العديد من بلدان منظومة الاقتصاد الرأسمالي الحر كبريطانيا والمانيا وغيرهم، وتعتمد عليه بل وتحافظ على انجازاته.

# محاولة في تفسير الحلم البورجوازي

انتبهوا! إننا أمام اكتشاف جديد في الاقتصاد السياسي: لقد تحول رأسماليو البحرين إلى شعراء. لستُ ناكراً بأن لهذا المذهب اكتشافات غريبة كهذه مثل ريكاردو الذي جعل الإنسان قبعة، ولكن لا شيء يفوق ادراج الشعر ضمن عناصر الإنتاج! متأكد بأن لا أحد سيجادلني في ذلك. كما إنهم ليسوا أي شعراء. من هو قاسم حداد، أو علي عبدالله خليفة، أو علي الشرقاوي مقارنة بهؤلاء الشعراء العظام؟ لقد فاقت شاعريتهم مقام كلديرون العظيم حين قال قديماً، مثلهم اليوم:

هشام عقيل

**الحياة؟**
**جنون،**
**حكاية،**
**وهم،**
**حلم هي الحياة!**

**لكن فيما كان كلديرون يكشف الحياة من منظور الوهم السائد، أنهم يصورون لنا هذا الواقع في كل مشروع صناعي جديد، كل صفقة تجارية عالمية جديدة، كل قرض تقترضه الدولة، كل قرار يخنق الحياة السياسية، إلخ. حتى تلوثَ الهواء بهذه الأوهام، فصرنا نعدّ من الدول التي تتمتع (تتمتع بالفعل!) رسمياً بهواء ملوث غير صحي (حسب التصنيف الذي يضعنا فيه مؤشر نوعية الهواء). الآن سندخل إلى زمن الأمراض القلبية، والرئوية، والجلدية (ناهيك عن السرطانية)؛ ولكننا ايضاً سنعاني، كما نرى تفشي ذلك بشكل مبكر جداً، من طوباويات مرضية وملوثة.**

**بين ليلة وضحاها، صار بورجوازيونا وكتابهم دعاة الإمساك الاقتصادي؛ جميعهم آمنوا تماماً بالأخلاقية الكانطية، وهكذا دعاة الواجب الوطني الجمعي: الكل يجب أن يتصرف لا وفق لمصلحته الشخصية، بل المصلحة الجمعية لإنقاذ "الوطن" من الركود الحالي. وكأن بهم يطبقون مبدئاً فلسفياً: أنا رأسمالي، إذن لا شيء رأسمالي غريب عليّ. هاكم مثال بسيط على آراء مثل هذه:**

**"إنتاجية المتقاعدين ستكون عالية جداً حال دخولهم مجال ريادة الأعمال فمجالها واسع جداً. ويجب استغلال هذه الفئة بأسرع وقت ممكن لزيادة خلق الثروة، فمن بدأ منهم في ريادة الأعمال أصبح دخله أكثر ب 14 مرة مما كان عليه في وظيفته الأساسية وهذه إنتاجية واضحة. (...) القطاعات التي تتأثر بالأزمات المالية هي في الحقيقة تتأثر بالتحولات الاقتصادية التي تحدث الآن من خلال "الاقتصاد التشاركي" الذي يحول أيضاً سلوكياتنا في الاستهلاك (...) سيتقلص التوظيف في الحكومات مقابل ارتفاع نسبة ريادة الأعمال. لا يوجد خوف من الاقتصاد أو حالة صراع إنما هي عملية تحوّل (...) تعمل الحكومة بشكل مكثف لتنويع مصادر دخلها، وهنالك تفاؤل كبير بهذا الاتجاه. إذ اتجهت إلى تقليص المصاريف والاعتماد على المواد غير النفطية وتقليل الدعم وفرض ضرائب".**

**جميل جداً! نحتاج إلى من يسمعنا بأنباء سعيدة متفائلة، ولكن دعنا لا نحكي لأنفسنا حكايات خرافية. وللحكاية الخرافية هذه بطل مركزي: الاقتصاد التشاركي. أتساءل ما إذا كان هناك تناقض فيما قاله الخبير الذي اقتبسنا كلامه حين يبشرنا باقتصاد تشاركي آت بشكل لا محالة، اقتصاد بطبيعته التشاركية سيلغي الكثير من الرساميل غير الاحتكارية، وفي مثل الوقت تبشيره بأننا سندخل في زمن يستطيع فيه المتقاعدون أن يدخلوا إلى مجال ريادة الأعمال (مهما كان طبيعتها). كيف يُمكن لهذه التشاركية، التي لا تعني سوى اتجاه الرساميل المتوظفة في قطاع إنتاج وسائل الاستهلاك نحو التركز والاحتكار بفعل الزيادة في التركيب العضوي لهذه الرساميل وتركزها المستمر، أن تمنع نفسها من أن تحارب الوهم الذي تظهر عليه؟ ليست ثمة تشاركية عامة، بل تشاركية ما بين الرأسماليين!**

**بدأت هذه الأشكال التشاركية كمبادرات فردية، لكن سرعان ما احتلت هذه المبادرات تلك الشركات الضخمة التي تمكنت أن احتكار هذه التشاركيات ما بينها. ألن يشكل وجود هذه الشركات التشاركية، ولا اظن أن الواحد منا سينفي دخول الرساميل الاحتكارية في هذا المجال وهيمنتها، المانع على الأقسام غير الاحتكارية من البورجوازية في أن تقيم أعمالها الصغيرة برساميل بسيطة (أو حتى البورجوازية الصغيرة، التي تعتمد على رساميل بسيطة جداً)؟ . لا يُمكنك أن تؤمن بهذا الاقتصاد، وما هو باقتصاد بقدر ما هو الشكل الحديث لتركز رؤوس الأموال من جهة وميل الرأسمالية نحو تسريع تدوير السلع من جهة اخرى، وفي مثل الوقت تكون مؤمناً بتمكين المتقاعدين، ما لم كنت تنوي أن تستعطف شريحة كبرى من البورجوازية الصغيرة.**

**كما أنني اظن بأن المتقاعدين لن يحتاجوا إلى تحليل اقتصادي كي يضحكوا على فكرة أن السوق مفتوحة لهم في الأوضاع الراهنة! نتحدث كما لو كان هؤلاء المتقاعدون يملكون رؤوس اموال كافية لتسخيرها في السوق. وسندفعهم إلى الضحك أكثر إذا قلنا لهم: "طبعاً إن كنتم محتاجين لرؤوس اموال، "تمكين" موجودة!" في ظل الأزمة الاقتصادية هذه، وعجز الموازنة، وتضخم القروض، سيكون على خبرائنا أن يعذروا المتقاعدين إن شكوا من التشاؤم. لكن لاحظوا بأن لغة الخبير كلها لا تعتمد سوى على صيغة المضارع (كمستقبل)؛ لذا الفكرة الضمنية واضحة جداً، كونوا صبورين: أننا لسنا في ركود بل في تحول!**

**الحق يقال، هناك الكثير من الخيال حول اقتصاد – مثل الاقتصاد البحريني – كاد ينهار قبل كم سنة لولا الدعم المالي الخليجي له. لكن الأمور لا تقف عند الخيال أو التمنيات، بل محاولات جادة في اقناع**

يتبع

يتبع

الناس بأن كل المشكلات الحقيقية التي يشعرون بها بشكل يومي، كل المصائب المعيشية التي تنهال على رؤوسهم، الشركات المصرفية التي تضع رقابهم تحت حذائها، هي ليست مشكلات حقيقية؛ أو على الأكثر ضرورية يتوجب عليهم احتمالها من أجل "الوطن".

لن يكون النقد تجاه هذه الأفكار ذا أي قيمة ما لم كان مبنياً على أسس علمية؛ وبالتالي، يستلزم تشريحاً حقيقياً للوضع الاقتصادي الراهن، وذلك لا يحصل إلا إذا قمنا بذلك من وجهة نظر الطبقة العاملة. أما النقد الآتي من وجهة نظر البورجوازية الصغيرة التي يخطّها بعض الكتاب في هذا البلد – حتى وإن ظهرت بمظهر "راديكالي" احياناً – لا يضر علمية النقد وحسب، بل ثورية الحل ايضاً. إن الإيديولوجيا البورجوازية الصغيرة لا تضرَ الطبقة العاملة وحسب، بل طبقة البورجوازيين الصغار كذلك!

ما يحاول تصويره الفكر البورجوازي الصغير، ولكم أن تبحثوا عن كل أطروحاتهم العاطفية الرقيقة، هو أن الركود الاقتصادي البحريني سببه ضعف القوة الاستهلاكية (تراجع نسبة الطلب في مقابل العرض) للجماهير. فيستتبع استنتاجهم هذا التحليل، منطقياً، فيصورون لنا حلاً رقيقاً هشاً فيه يطالبون برفع المستوى المعيشي للفرد البحريني كي يحصل هذا التوازن. لماذا؟ لمصلحة الوطن! "مصلحة الوطن"؟ كلمة ملطفة رديفتها الفظة هي: مصلحة البورجوازية.

هذه الحقيقة التي يغيبها هذا الفكر؛ أنه يعمل لمصلحة الجميع، ويرضي كل الأطراف، لذا تجده من جهة، يطالب بفرض الضريبة على البورجوازيين أنفسهم، وذلك لتخفيف العبء الذي تحمله باقي الطبقات الشعبية في المجتمع (وربما تخفيف عبء دفع ضريبة القيمة المضافة؟). ومن جهة اخرى، بشكل منطقي مرة اخرى، يريد أن ينقذ "الوطن" (ايّ البورجوازية) من أزمة كساد الأسواق التي ستسببها غياب القوة الشرائية (وبالتالي، سوق منتعشة) عند الجماهير. هكذا، يكسب الطرفان في المعادلة!

بلا شك، الصراع من أجل فرض الضريبة على البورجوازية أمر لا بد منه في الوضع الراهن، ولكن لأسباب لا تتعلق بحرب مسيحانية ضد المرابين شأنها أن تصلح وضع المجتمع بشروط المجتمع. نحن نتحدث عن هذا الصراع بوصفه صراعاً سياسياً، ايّ كضغط سياسي على البورجوازية نفسها. ولن يغفر أي أحد لليسار إذا تهاون عن الإقدام على ذلك في المرحلة الحالية. لا أحد سيغفر لليسار إذا لم يتمكن أن يقيم الجسور ما بين العمال والموظفين؛ وذلك لا يحصل إلا عبر تحالف طبقي فيه يتم اقناع (أقولُ اقناع، لا إجبار أو إلزام) البورجوازيين الصغار بالوهم الطبقي الذي يولده وجودهم الطبقي بالتحديد؛ اقناع يأخذ وقتاً وصبراً طويلاً، وصراعات داخلية لا تنتهي.

الآن بدأت الطبقات الشعبية تشعر بهجوم الطبقات المسيطرة عليها، وهذا الهجوم يقاد بأخوية – لا بد أن نعترف– لا مثيل لها. إن تحالفاً مثل هذا سيستدعي ايضاً تحالفاً نقيضاً، فيه يدخل الموظفون والعمال الصراع المكشوف الذي يكتنفه هذا العالم سيقولون من بعد فويرباخ: «أنا إنسانٌ، إذن لا شيء إنساني غريب عليّ!». ولكن تنقصهم، وهذا طبيعي جداً، التجربة التي ستساعدهم على التخلي عن كل حق بورجوازي منح لهم، ويحتفظوا بحق واحد صنعوه بأنفسهم: الحق في التمرد!

ألا يستدعي ذلك فهماً علمياً دقيقاً للوضع الراهن؟ أليس ذلك ما نفتقره أكثر من أي شيء آخر؟

لفهم علمي لماهية الوضع الاقتصادي، ينبغي علينا أن نفرق ما بين التوجه العام والتوجه الخاص للحركة الرأسمالية. في الإطار العام، لا تنفصل البحرين عن الركود العام الذي أصاب الإنتاج الرأسمالي عالمياً بعد 2016. كل الاقتصاديات الرأسمالية العالمية تتوجه – بشكل عام – نحو الاستقرار والتوازن، وذلك ردة فعل طبيعية تلزمها مرحلة الركود الإنتاجي من حيث يتم تخفيض قيمة رأس المال (استقطاع أو فك – ربط قدر من قيمة رأس المال الثابت والمتحرك)، وترخيص مواد الخام والأجور (لا يهمّ إذا كانت الأجور مرتفعة أسمياً، إذ أن الأجور الفعلية قد انخفضت بالنسبة إلى ارتفاع اسعار الوسائل الاستهلاكية)، وتراجع الطلب (طلب الرأسماليين والعمال معاً)، والنزوع نحو تخفيض سعر الفائدة، وزيادة البطالة، إلخ. إن هذا واضح وضوح الشمس في المشهد الاقتصادي العالمي. والبحرين ليست مستثنى من هذا الإطار العام، وتجسد ذلك بشكل خاص في حركتها الرأسمالية.

دعنا أولاً نشير إلى حقيقة أن البحرين ايضاً تتجه نحو التعافي من آثار الركود التي عانت منه لسنوات عديدة، وبهذا المعنى لا يمكننا أن نحسب «زيادة الإنتاجية» كمظهر من مظاهر انتعاش الإنتاج من جديدة (مهما قال مديرو تنفيذ شركاتنا الاحتكارية الكبرى!) بل – على العكس – كمظهر من مظاهر تعجيل هذا التعافي. واسباب ذلك واضحة برأيي، أولاً يتجه الإنتاج النفطي الخليجي إلى الاستقرار والثبوت عند معدل معين وثانياً يتجه الإنتاج الصناعي لا الخليجي وحسب بل العالمي نحو الركود. وتلك «الزيادة الإنتاجية» المزعومة غرضها تحقيق التعافي الداخلي، لا لمقارعة حركة الإنتاج الرأسمالي العالمي الراهنة (وهي لا تنفصل عنها في نهاية المطاف).

ينبغي علينا هنا أن نحدد الخطوط الفاصلة بين الأمور: السياق الحقيقي للزيادة الإنتاجية يشير بأن غرضها هو لتغطية العجز الرأسمالي الذي يعاني منه رأس المال الحكومي، ولا يشير إطلاقاً إلى انتعاش المقدرة الإنتاجية المحلية. مع القليل من إرشاد الفكر العلمي، سيجبر بعض الرفاق المتحمسين أن يشدوا أحزمتهم قليلاً، ويؤجلوا التهاني والتبريكات «للحكومة الموقرة» للوقت الراهن!

مثلاً، دعنا نأخذ افتتاح خط الصهر السادس في «ألبا» المحتفى به كثيراً. لا شك بأن تطوير الوسائل الإنتاجية الحاصلة في المصنع تعني صهر الألومنيوم وفقاً لظروف مستحسنة للإنتاج وهذا يعني أن سعر إنتاجها سيكون في الجانب المستحسن للإنتاج محلياً وعالمياً؛ لكن ذلك سيصح في الظروف الطبيعية، ايّ حين تتسيّد الظروف العادية للإنتاج وبالتالي تتسيّد قيمة – السوق التابعة لهذه الظروف. أما في الوقت الراهن، فنحن نعلم جيداً بأن ليست الظروف العادية للإنتاج (كما هو الحال في الوضع الطبيعي)، ولا الظروف السيئة للإنتاج (كما هو الحال في وضع الازدهار)، بل الظروف الأحسن للإنتاج هي التي تحكم قيمة السوق حالياً. وفي

هذه الحالة، حين تحدد الظروف الأحسن قيمة السوق، لن يكون الأمر مستحسناً كثيراً بالنسبة لرأس المال الذي ينتج وفقاً للظروف الحسنة هذه (رغم أنه لا يزال يحصد ربحاً).

إن تراجع الطلب على الألومنيوم عالمياً هو ظاهرة رئيسية لحركة الإنتاج (لا العكس) التي تنزع حالياً نحو الركود؛ فحسب بورصة لندن للمعادن (LME) انخفض سعر الألومنيوم حتى 1761 دولاراً للطن في الربع الثالث من 2019، بعد أن كان 2056 دولاراً للطن في الربع الثالث من 2018. أثرّ ذلك على صافي مداخيل "ألبا" نفسها في 2019، حيث واجهت انخفاضاً فيها يصل إلى 111٪ في سنة كاملة (حتى تاريخ اصدار التقرير نفسه)؛ بينما في الربع الأول من 2019 عانت ألبا من صافي خسارة مقارنة بالربع الأول من 2018 يصل إلى 147٪.

ولا شيء يوحي حالياً بأن هذا الركود سيتغير في الوضع العالمي الراهن (هذا ما تتنبأه وكالة روتيرز لعام 2020، بكون فائض عرض الألومنيوم لا يزال قائماً فيما يتقهقر الطلب).

دعنا لا ننسى بأن هذه ردة فعل طبيعية للرأس المال الحكومي في حركته الرأسمالية الراهنة. وكي لا نكون موهمين بما يبدو ظاهرياً، علينا لا نحسب زيادة الإنتاج في صناعة الألومنيوم كإجراء منفصل عن الوضع في صناعة النفط وإلا سنكون قد وقعنا في وهم استقلالية الإجراءين، وبالتالي ملاذنا سيكون: التجريبية — وهو الملاذ الأخير للفكر البورجوازي. ما إن رأينا بأن هذه الحركة مرتبطة بشكل عام بحركة رأس المال الحكومي، بما إنه – في تكوينه – رأس مال احتكاري، لن نفهم علمياً طبيعة كل الحاصل.

الإجراء هو واحد، يسعى رأس المال الحكومي نحو الاستقطاع، أو فك الربط، وذلك لا يحصل على نطاق رأس مال فردي (كما هو الحال مثلاً في الرأسمالية التنافسية) بل على نطاق أكثر شمولاً. معروف بأن طبيعة رأس المال الاحتكاري لا تلزم دمج مختلف اللحظات الإنتاجية كسيرورة عمل واحدة وحسب، بل ايضاً تلزم ربط اللحظات الإنتاجية هذه بلحظات تتعلق بالتدوير والتوزيع ايضاً (ايّ لحظات خارج العملية الإنتاجية، أو عملية العمل). ولما كنا نتحدث عن رأس المال الحكومي بالتحديد، لا يمكننا أن ننسى بأننا نتحدث عن عمليات يقودها جهاز مميز في الدولة: الجهاز الاقتصادي للدولة (بجانب من الجهاز الإيديولوجي والسياسي ... الخ).

في هذه الحالة، لا يقود الجهاز الاقتصادي معظم (نقول معظم) العمليات الرأسمالية وحسب، ايّ يتصرف كجهة رأسمالية مالكة لوسائل الإنتاج، بل ايضاً يقود العمليات الاقتصادية الطبيعية لوظائف الدولة: الوظائف المصرفية، الضرائب، التحكم الاقتصادي بمصادر الطاقة (مثلاً يعبر لوفيفر عن ذلك في عبارة طريفة: "أيمكننا أن نتخيل الكوارث التي ستحصل إذا كانت مصادر الطاقة كلياً في أيدي الشركات البورجوازية الخاصة؟"، التحكم في مخازن الاحتياطات، وحركة العملات، إلخ. فإذا كان رأس المال الحكومي يسعى وراء هذا الاستقطاع من تركيب رأس ماله، فإنه لن يقوم بذلك على المستوى الرأسمالي وحسب بل على مستوى إدارة شؤون البورجوازية بشكل عام ايضاً.

إن حقيقة تنمية الإنتاج غير النفطي لدى رأس المال الحكومي لا يعني سوى بأنه يستقطع كماً أكبر من حركة رأس ماله، التي تتجسد في الإنتاج النفطي أساساً؛ ولكن ايضاً من حجم مصروفاته الإدارية (لا الإدارة الاقتصادية وحسب، بل ايضاً النظامية والخدماتية). حالما نرى الأمور برؤية شاملة سنرى الإجراء هو – كما سبق لي القول – واحد لا اثنين، رغم أن كلمة موحدة جداً مثل «الوطن» تستخدم في هذه الحالة لتفعيل الوهم العام بأن هذه الإجراءات منعزلة عن بعضها البعض.

وإن أتينا لقياس هذا «الازدهار» الوطني، سيكون علينا أن نخطو خطوات حذرة، إذ أن لا رأس المال الحكومي – ولا البحريني عامة – قادر على تمويل مشاريع كبرى مثل افتتاح الخط السادس (أو كما صرّحوا مؤخراً: الخط السابع في المستقبل) في «ألبا» أو توسعة قدرة إنتاج «بابكو» 380 ألف برميل في اليوم دون الاقتراض من شركات إمبريالية كبرى، ايّ تحويل تلك المنشآت الصناعية إلى منشآت كومبرادورية بحتة (حيث أن عملية الإنتاج كلها خاضعة للرأس المال الإمبريالي حالياً)، وليس أدلّ على ذلك سوى قيام «ألبا» بإعادة تمويل القرض المشترك الذي يصل إلى 1.5 مليار دولار (ولكنهم انتصروا بكسب سعر فائدة اقل!). والأمر لا ينحصر تماماً في اتخاذ رساميل محلية لتدابير كومبرادورية وحسب، بل ايضاً عبر السماح للشركات الأجنبية أن تقوم بهذه العمليات بشكل مباشر. يبدو الطريقة الأسرع، كما يراها رأس المال الحكومي، لتضخيم الخزانة هو فرض الضرائب على هذه الكشوفات المكلفة، بدلاً من الإنتاج على حساب تكلفة إنتاجية محلية (سواء أكانت كومبرادورية أم لا).

يبدو، إذن، كلما يتحدث أحدهم عن الإزدهار أنه يعني في الحقيقة: التحرر من عجز الموازنة، ولكن طوباويتهم ستكون في خطر شديد حين نسألهم تفسير نمو الدين العام إلى 106٪. إن البورجوازية البحرينية في أزمة لأن بورجوازية الدولة في أزمة؛ وفي نهاية الطريق، إن واجهنا أزمة ما في المستقبل أثمة شخص منا سيشك بأنها لن تكون أزمة مديونية؟ كل عامل يساعد على تفادي امكانية قدوم أزمة من هذا الطراز، تمّ الاقتراض من أجل اتمامه!

ولكن «حتى الذهب الموجود في قاع القمر لن يريح هذه الأرواح المسكينة!».

إلى حد الآن، الأمور لم تبلغ الشكل الحدي لها، ولم تفصح عن حقيقتها بعد، والكُل لا يعرف مقدرته بعد. نحمل في تاريخنا تجربة فاشلة واحدة كفيلة أن تفضح معظم اوهام هذه الجزيرة، وتجربة فاشلة واحدة هي لا شيء. إنها بداية تجارب فاشلة ضرورية غيرها. ولكن على المرء أن يخضع للقدر بقدر معين كما قال ماكيافيلي قديماً. حين تهدأ مياه النهر الهائج سيكون علينا أن نبني سدوداً واسواراً للحد من الاهتياج الآتي. لهذه السدود والأسوار والطرقات اسم عند مناهضة الرأسمالية: الخط الاشتراكي.

إلى ذاك الحين سيتوجب علينا ايقاظ الاشتراكيين من منامهم، ولكنهم ايضاً سيقولون:

الحياة؟
جنون،
حكاية،
وهم،
حلم هي الحياة!

# الدول العربية والحاجة للاستقرار والأمن والديمقراطية

بمناسبة حلول العام الجديد ٢٠٢٠ نرفع إلى جلالة الملك وسمو رئيس الوزراء وسمو ولي العهد وإلى الشعب البحريني التبريكات بحلول هذا العام. كما نتمنى للأمة العربية والإسلامية الرشاد والتوفيق في التحوّل نحو الديمقراطية التي هي أساس الاستقرار والأمن والسير في طريقها لتفادي ما هي فيه من صراعات تهدر ثرواتها وتعطل تقدمها.

د. محمد الكويتي

إن ما يحدث اليوم في كثير من الدول العربية من انتفاضات وخصوصا في لبنان والعراق، وقبلها الجزائر والسودان واليمن هو دليل على أن النفوذ الإيراني والتركي والأمريكي والروسي في المنطقة هو من أهم أسباب عدم الإستقرار بالإضافة إلى ضعف الدولة العربية، وهذا ليس قصوراً في وعي الشعوب بعروبتها ووطنيتها، سواء كانوا سنة ام شيعة. ضعف الدولة هو نتيجة ضعف أنظمتها السياسة وناتج من حاجتها إلى حماية ضد شعوبها. هذا الضعف يجعلها إما أن تتجه نحو الخارج لتوفير هذه الحماية، وبالتالي يكون قرارها مرتهناً للخارج أو انها تلجأ إلى حماية نفسها بخلق عداوات خارجية تجعل الشعب يقف مع الدولة من منطلق وطني.

الحالة الأولى هي معظم الدول العربية ذات الحكم الاستبدادي، والحالة الثانية هي إيران وتركيا، السلطة الحاكمة في إيران سلطة دينية تستطيع من خلال استغلال الدين أن تسوّغ فكرة الهيمنة على المنطقة ورفع مستوى المطالبة التاريخية في استرجاع الامبراطوية الفارسية. قد يكون مثل هذا الشعور موجوداً في الشخصية الإيرانية الفارسية كما هو موجود في الشخصية التركية العثمانية وفي الشخصية العربية التي تريد أمجاد الدولة الأموية والعباسية.

هذا هو مأزق ايران وتركيا ومأزق عدد من الدول العربية، وهذا المأزق هو بمثابة سجن كبير وضعوا أنفسهم فيه وأصبحوا يتناحرون على قضايا هامشية داخل هذا السجن. السجن هذا هو سجن الاستبداد الذي تمارسه كثير من الدول على شعوبها، لكن بدلاً من أن يسجن الشعوب سجن الدول في صراع على توافه وهوامش وشغلها بها بدلاً من انشغالها بالتنمية ورفع مستوى معيشة مواطنيها في مجتمع تسوده العدالة والمساواة وتكافؤ الفرص الذي تعمل معظم الانظمة الديمقراطية على توفيره لشعوبها.

ضعف الدولة مكّن الغرب وغيره من انتهاج سياسة الهيمنة، وهذا الضعف هو داخلي وليس مفروضاً من الخارج، كما أن تشرذم الدول العربية هو بسبب نزاع أنظمة سياسية وليس نزاع شعوب. الخروج من المأزق هو في عمل عربي مشترك بصيغة أو بأخرى. إن احتمالات نجاح العمل العربي المشترك سيكون أكبر في ظل نظم سياسية ديمقراطية منفتحة تسعى إلى رفع مستوى المعيشة كأولوية أولى، وتكون السياسة الخارجة خادمة لهذه الأولوية.

قوة الدولة العربية كذلك تحتاج إلى لحمة وطنية في المجتمعات العربية، وهذا لا يتحقق إلا من خلال عدالة ومساواة، أما الاستبداد فلا يولّد إلا التفرقة والنزاعات التي يحتاجها لبقائه. المستبد يعتمد على فئات وجماعات في المجتمع تسانده وتدعمه، وهذه الفئات تحتاج إلى أن يقاسمها الثروة والسلطة لكي تستمر في الدعم. فهي عملية كسب ولاءات وليست جهود تنمية، وهذا يولد انقسام في المجتمع وعدم مساواة ودائرة مغلقة من عدم مساواة اقتصادية تؤدي إلى عدم مساواة سياسية، وهذه بدورها تزيد من عدم المساواة الاقتصادية. كما أن المستبد يحتاج إلى افتعال نزاعات خارجية مستمرة تبرر استبداده حتى ولو هدمت جسور التنمية وشروطها.

التنمية غير ممكنة إلا في ظل قيم تُعظم من شأن الكفاءة والقدرة في توزيع المناصب والمحاسبة الجادة الحقيقية وسيادة حكم القانون. بدون ذلك يبقى الضعف الداخلي يشجع الدول الأجنبية على ابتزاز الدولة وتبقى الدولة الاستبدادية تعمل على التناقضات الداخلية وتبقى أهداف التنمية بعيدة المنال لأنها ليست أولوية ولا توجد جدية في توفير الحد الأدنى من البيئة الصالحة لها.

إن أول داء ينخر في هذه البيئة الاستبدادية هو الفساد، لا يمكن أن يعيش نظام مستبد بدون فساد إما من خلال نهب المال أو بتوزيع مناصب وفق اعتبارات ليس لها علاقة بالجدوى الاقتصادية أو الكفاءة الفنية. تضيع عندها النزاهة وتضعف الذمم وتتشوه الأخلاق والقيم، ويخرج من يتمسك بها من دائرة القرار والتأثير.

استمرار هذا الوضع الفاسد يحتاج إلى إضعاف المجتمع المدني. هذا الإضعاف هو كذلك من متطلبات الإستبداد، ويتم بتعاون وثيق بين سلطة سياسية وسلطة اقتصادية وسلطة دينية. أما تحقيق الاستقرار ونجاح التنمية فإنها تحتاج إلى مجتمع مدني نشط وحيوي يستطيع أن يصحح الأخطاء ويُقوّم الخلل والإعوجاج، ويبحث في الخيارات ويتخذ القرارات الجماعية. هذا لا يعني أن هذه القرارات ستكون مثالية وخالية من تغليب المصالح، فهذه جزء من اللعبة السياسية وقواعدها ومؤسساتها، لكنها تبقى في نطاق العمل السياسي المشترك وتوازن القوى النابع من هوامش كبيرة من حرية التعبير والتجمع وحكم القانون وسيادته.

إن ما تعاني كثير من الدول العربية هو نتاج عقود من الاستبداد

يتبع

والنظم الفاسدة المهيمنة على مقدرات الدولة. لم تخل الدول العربية على مدى عقود من المؤامرات منذ مطلع القرن. تلك المرحلة كانت مرحلة تخلّص من الاستعمار الأجنبي الذي كان يتحمل مسؤولية أداء الدول في تلك الفترة، ولكن منذ بداية حركة التحرر العربية فإن الدول العربية رزحت تحت الاستبداد بحجة وجود إسرائيل. صحيح أن إسرائيل عامل مؤثر ولكنه ليس السبب في استمرار الاستبداد العربي.

النظام الناصري كان شعلة مضيئة في تاريخ الأمة مكّنها من تحديد هويتها وتعظيم شعورها الوحدوي والعروبي ولكنه للأسف عزّز نظام الدول البوليسية المستبدة. كانت تلك الفترة استثنائية لم تتخذ الفساد نهجًا، ليس لأن الاستبداد يؤسس للنزاهة، بل لأن الرجل الذي كان في المركز كان نزيهًا وطنيًا مخلصا للأمة ولقضاياها.

لا يمكن لشعوب وأمم أن تعتمد على اشخاص ترتفع وتنهار مع قياداتها، فالأشخاص تاتي وتذهب. النظام الديمقراطي يحمي الدول من هذه المطبات ويجعل القرار بيد الأمة، وبيد عدد من الناس ويخضع للمساءلة والمداولة والحوار والنقاش والتصحيح. وبالتالي فأن النظام الديمقراطي لا يعاني من قلة الرجال الصالحين لإدارته لأن الرجال مجرد وسيلة للتعبير عن إرادة الأمة وليسوا سجانين لها.

# واقع البرلمانات العربية

البرلمان، أو مجلس النواب، أو مجلس الشعب، هو هيئة تشريعية تمثل السلطة التشريعية في الدول الدستورية، حيث يكون مختصاً بحسب الأصل بجميع ممارسات السلطة التشريعية وفقا لمبدأ الفصل بين السلطات.

جلال إبراهيم

العربية على المستوى الإعلامي الرسمي والتابع له متقدمة على غيرها، وتعد نموذجاً رائعاً يُحتذى به، أما على أرض الواقع فهي تتصف بالضعف والتخلف والفساد، وتعد نموذجاً يثير الشفقة والسخرية. فالملاحظ أن البرلمانات العربية – بمختلف مسمياتها – تتماثل في صورتها العامة أمام شعبها والعالم الخارجي. صورة تثير السخط والغضب المستمر من المواطنين العرب، والسخرية والإدانة من قبل المؤسسات الحقوقية والدول الديمقراطية. الصورة الثابتة للبرلمانات العربية أنها عرجاء متخلفة وفاقدة للاستقلالية والصلاحيات الرقابية والتشريعية والمحاسبة القانونية للحكومة ووزرائها.

هذا الواقع السيئ للبرلمانات العربية جعل من الجماهير العربية أن لا تثق ولا ترجو الخير من وجودها واستمرارها، إذ تعي هذه الجماهير أن البرلمان وكتله ونوابه في أكثرهم تابعون يعملون لصالح السلطة، ومن هو مستقل لا يملك الأدوات والصلاحيات اللازمة للقدرة على التأثير والتغيير وخدمة المواطنين. لذلك ليس من المستغرب أن يخرج الكثير من النواب والمسؤولين في الدولة في وسائل الإعلام المختلفه وتوجيه الإهانات للمواطنين والمزايدة عليهم في حب الوطن والولاء والإنتماء له. حتى أن بعض النواب يصبح حكومياً أكثر من حكومته في الوقوف ضد مصالح أبناء وطنه.

توجد عوامل متعددة – سيئة – على مستوى البلدان العربية تُنتج لنا برلمانات صورية وعقيمة، نذكر منها التالي:

– استمرار الاستبداد السياسي في مقابل غياب الأنظمة الديمقراطية.

– عدم وجود الدستور العقدي العصري أو الإلتزام به في أغلب الدول العربية.

– ضعف مؤسسات المجتمع المدني الفاعلة والمستقلة.

– ضعف الأحزاب السياسية العربية، وسيطرة الفساد والتبعية على أغلبها.

– غياب الإعلام الحر والفعال.

– ضعف الوعي عند الكثير من الجماهير العربية، وسيطرة الخطاب الديني أو الحكومي عليها.

من الطبيعي أن يستمر غضب الشارع العربي تجاه برلمان بلده وعدم الرضا عنه، وذلك لأنه لا يلبي أدنى حقوقه ومطالبه من أبسطها إلى أعقدها. والشعوب العربية تطمح كغيرها من الشعوب أن يتغير واقع برلمانات بلدانها، فتتحول من الضعف إلى القوة، ومن التبعية إلى الاستقلالية، ومن المحاصصاتية إلى الوطنية، ومن المصالح الضيقة إلى المصالح الشعبية الواسعة، ومن التخلف إلى النهضة والتقدم.

وكل ذلك لا يمكن تحقيقه إلا بالتغير على مستوى أصحاب القرار السياسي، أو من خلال الضغط الشعبي السلمي الهادف إلى تحقيق العدالة الاجتماعية وتطبيق الديمقراطية والعمل على رقي وتقدم بلداننا العربية.

## بمناسبة الاحتفال بيوم الدستور الهندي

# إطلالة على المشهد السياسي والحزبي في الهند

منصور حسين

تقام في يوم ٢٦ نوفمبر من كل عام الاحتفالات في الجمهورية الهندية ابتهاجا بيوم التصديق على مسودة الدستورالهندي من قبل المجلس الدستوري، ويطلق على هذا اليوم ب ((Republic Day، حيث تحتفل معظم المؤسسات الحكومية وغير الحكومية في المدن والأرياف وفي الجامعات و المدارس، وفي الميادين العامة. كما تنظم الأحزاب السياسية المحلية والوطنية والنقابات وسائر مؤسسات المجتمع المدني في جميع الاقاليم احتفالاتها بهذه المناسبة، مناسبة اليوم الذي تمّ فيه تصديق أعضاء المجلس الدستوري على الدستور الهندي الاتحادي وتطبيقه على عموم الولايات الهندية التي تنضوي في هذا الاتحاد والذي يبلغ عددهها ٢٢ ولاية.

في هذه المناسبة أقامت السفارة الهندية في البحرين في هذا العام 2019 حفلًا دعت إليه بعض الشخصيات من الجالية الهندية، كما دعت بعض الطلبة البحرينيين الذين تخرجوا من الجامعات الهندية. وألقى السفير الهندي كلمة ترحيبية بالحاضرين في هذه المناسبة. اشتمل الحفل على بعض من رقصات الفلكلورالهندي. وألقى الوزير السابق عبد النبي الشعلة الذي تخرج من الهند، كلمة قيّمة في الحفل. كما شاركت وزارة الخارجية البحرينية أيضًا، وذلك بحضور احد المسؤولين في السلك الدبلوماسي للوزارة، وألقى كلمة بشأن المناسبة.

يعتبرالدستورالهندي من أكبر الدساتير الديمقراطية عالميًا، اذ يتضمن 448 مادة دستورية و 25 بندا. واستغرق اعداد مسودة مواد الدستور سنتين و11 شهرا و 17 يوما. وأدخل عليه فيما بعد 102 تعديلا. حسب المادة 368 التي تنظم إجراءات إدخال التعديل على مواد الدستور، وإجمالاً يتصف تعديل دستور الهند أو إضافة مواد عليه بالتشدد وبالمرونة معا.

التعديلات التي تمت خلال الممارسة الديمقراطية في الهند عكست مدى عنفوان وجدلية الصراع السلمي بين الأحزاب السياسية المحلية على اختلاف توجهاتها الإيديولوجية والسياسية، وكما تعكس مدى مرونة طبيعة الدستور الهندي في قابليته للاستجابة للمتغيرات والتطورات السياسية والاجتماعية والاقتصادية داخليا و خارجيا.

التعديلات على مواد الدستور ضرورة ملزمة للدولة الهندية لتلبية حاجات شعبها المستجدة، و الى اللحاق بالتطورالاقتصادي والعلمي وانجازاته، وتوظيف الثورة التكنولوجية بغية انجاز اقامة الدولة الهندية المدنية الحديثة. يحدد الدستور الهندي شكل النظام السياسي في الهند على انه جمهوري ديمقراطي برلماني على مستوى الاتحاد وعلى مستوى الولايات. وأن رئيس الدولة الهندية الاتحادية في المركز(نيودلهي). كما توجد حكومات ديمقراطية على مستوى الولايات ( States22).

الدستور الهندي هو القانون الأسمى الذي من خلاله يرسم البناء الهيكلي لمؤسسات الدولة الاتحادية وتوزيع السلطات فيها ونطاق استقلالياتها واختصاصاتها ومجال تعاونها لاستمرارية عمل السلطات في اداء مسؤلياتها، كما يحدد حقوق المواطنين أفراداً وجماعات وضمان تحقيقها. وتنقسم السلطات كما نصّ عليها الدستور الهندي إلى أولا: منصب رئيس الدولة في النظام السياسي للدولة الاتحادية، حيث يتم انتخاب المرشح من قبل البرلمان الاتحادي، وبشكل دوري من احدى الطوائف الذي يتكون منها الشعب الهندي، اي ان رئاسة الجمهورية الهندية ليست حكرا على طائفة بعينها.

ثانيا: السلطة التشريعية (البرلمان) بما يسمى (Lok Sabha)، وعدد ممثلي الشعب المنتخبين فيه يبلغ 543 عضوا، بالإضافة الى اثنين من المقاعد لطائفة الانكغلو انديا، اللذين يعينان من قبل رئيس الجمهورية، بحيث يصبح مجموع عدد أعضاء البرلمان 545. والنظام البرلماني في الهند نظام مزدوج على مستوى الاتحاد وعلى مستوى الولايات.

ثالثا: السلطة القضائية وتتألف من المحكمة العليا الاتحادية، ومن المحاكم العليا على مستوى الولايات، ومحاكم المقاطعات، ومحاكم الجلسات على مستوى المقاطعات.

رابعا: السلطة التنفيذية المتمثلة في مجلس الوزراء برئاسة رئيس الوزراء المنتخب الذي هو زعيم حزبه (حزب الأغلبية) الذي فاز بالأغلبية في الانتخابات العامة، ويختار وزرائه من حزبه المنتخبين ايضا والذين هم أعضاء في البرلمان. كما يجيز الدستور الهندي شروط امكانية عقد التحالفات بين الأحزاب لتشكيل ائتلاف سياسي لتشكيل الحكومة الجديدة في حال عدم تمكن أي من الأحزاب الوطنية الكبيرة بالفوز بالاغلبية المطلقة. ومن الاهمية الاشارة اليه، هو ان النظام الحزبي في الهند، نظام يقوم على تعدد الاحزاب (multi–party system)، على عكس ما هو سائد في النظام السياسي الديمقراطي في بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية، حيث يسود هناك نظام الحزبين في المنافسة الانتخابية و السياسية.

الأحزاب الهندية تنقسم إلى مستويين، الأول على مستوى الدولة الاتحادية ويسجل اسم الحزب بلقب وطني، إذا استطاع الحزب تحقيق ثلاثة شروط، وهي أن يحصل على 2٪ من مقاعد المجلس التشريعي الاتحادي. حسب انتخابات 2014، وأن يحصل في أربع ولايات على 3 مقاعد على الأقل في كل ولاية، كذلك عليه ان يحصل في الانتخابات الاتحادية على نسبة 6٪ من الاصوات في اربع الولايات التي فاز فيها. حتى يتأهل للحصول على لقب حزب وطني (National Party).

لقد مرت الهند ومازالت بتجانبات وصراعات سياسية واجتماعية واقتصادية بين القوى الفاعلة على المسرح السياسي والاقتصادي والديني. اشهر هذه الأحزاب هو حزب الكونغرس الوطني الهندي، أقدم الاحزاب الهندية الذي تاسس عام 1885، الذي يتمتع بشعبية كبيرة، ويعتبر أول حركة قومية حديثة في الهند، وذو عقيدة وطنية ديمقراطية وعلمانية، فقد تزعم الكفاح ضد الاستعمار البريطاني للهند وكان ذلك بزعامة المهاتما غاندي، وما زالت أسرة لال نهرو تهيمن على زعامة هذا الحزب.

ومن الذين تولوا زعامة الحزب الزعيمة السياسية انديرا غاندي، ابنة الزعيم جواهر لال نهرو، الذي كان أول رئيس وزراء للجمهورية الهندية. تولت انديرا غاندي رئاسة وزراء الهند على ثلاث فترات متعاقبة استمرت من 1977–1966، أما الفترة الرابعة 1980– 1984 فقد انتهت باغتيالها بالرصاص، وخلفها في زعامة الحزب ابنها راجيف غاندي الذي صار سادس رئيس وزراء الهند بين 1984–1989، أما ابنها سانجاي غاندي الذي كان مرشحا لزعامة الحزب فقد توفي مبكرا في حادث طيران. أرملته مانيكة غاندي وابنها فارون غاندي انضما الى حزب بهارتيا جاناتا، وأصبحا زعيمين سياسيين في الحزب، وحاليا تتولى زعامة حزب الكونغرس الوطني سونيا غاندي ارملة راجيف غاندي.

ويلي هذا الحزب حزب جاناتا اليميني الهندوسي الذي تاسس في عام 1980 ومن ابرز زعمائه مورارجي ديساي ورئيس الوزراء الحالي ناريندرا مودي وهو حاليا يرأس الحزب الذي اشتهر ونال شعبية واسعة في صفوف الطائفة الهندوسية، ونظرا لموقفه في التصدي للفساد الإداري والمالي مثل الرشاوى و التهرب الضريبي وغسيل الاموال وتهريب المخدرات. لكن بقيي حزب بهاراتا جناتا حزبا محافظا يعتبر نفسه ممثلا حقيقيا للطائفة الهندوسية التي تمثل الاغلبية السكانية بنسبة 79.1٪ من مجموع السكان في الهند الذي يبلغ 1،352،916،575.

ويرى حزب جاناتا أن الهند يجب أن تبقى دولة هندوسية خالصة وهو ما يتعارض مع القواعد الإرشادية في الدستور الهندي الذي ينصّ على أن الهند جمهورية اتحادية ديمقراطية وتعددية وذات سيادة. وعليه فقد تصاعد صراع الحزب الدائم مع الأحزاب الهندية الأخرى، ونشأ صراع داخلي أيضا في الحزب بين الجيل القديم المحافظ وجيل الشباب الذين يصرون على أن الهند يجب أن تبقى دولة ديمقراطية علمانية وتعددية.

لقد جاء قانون الجنسية الهندية الجديد الذي تقدّم به حزب جاناتا إلى البرلمان في الربع الأخيرمن عام 2019، مثيراً لتصاعد الخلاف بين الحزب الحاكم، حزب جناتا، وأحزاب المعارضة، وكذلك نشب الخلاف بين زعيم الحزب مودي ومناصريه من الجيل القديم مع المجموعات الشابة داخل الحزب التي تعارض التوجهات الرجعية، وترى في مواقف الزعيم مودي وأنصاره عامل هدم وتمزيق للهند ويؤسس لشعار الحروب االدينية بين الشعوب من مختلف الإثنيات من جديد، والتي اجتازتها البشرية.

وعليه تتفق معظم الأحزاب الهندية أن قانون الجنسية الجديد قانون رجعي ومعادي للتعددية الإثنية في الجمهورية الهندية الديمقراطية. كما يرى العديد من السياسيين في الهند أن هذا القانون المقدم للبرلمان موجه بطريقة مباشرة ضد طائفة المسلمين الذين يشكلون نسبة 14.2٪ (2018) من مجموع السكان حيث يبلغ عددهم 192،114،153.65 مليونا مسلما.

إن القانون الجديد المثير للجدل موجها ضد الشباب من المسلمين. أي أن أي شابة أو شاب مولود ومقيم في الهند، لكي يحصل على الجنسية الهندية اعندما يتقدم بطلب الحصول عليها عليه أن يقدم ما يثبت ان والدته تحمل الجنسية الهندية. الغريب ان القانون يستثنى من هذا الشرط جميع باقي الطوائف الأخرى في الهند، ولهذا تشهد الهند حالياً موجة احتجاجات ومظاهرات في جميع الولايات الهندية كما تواجه الحكومة الهندية اعتراضات واستنكار وشجب من العديد من الدول الديمقراطية ومن بعض الدول العربية ايضا.

# النّقلة الزّمنيّة

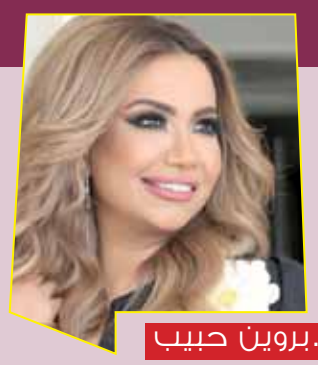

د.بروين حبيب

لا أدري ما الذي أوهم العالم العربي بأنّ الزمن متوقف، فقد تبادر إلى ذهني هذا السؤال كثيرًا وأنا أزور مدنًا عديدة، فأنا أجدها لا تتغير، يحلُّ عليها الثبات بشكل عجيب وتبقى صامدة وسط التغيرات المتوحشة حولها،بل إن بعضها تحرّك جملة وتفصيلا نحو الماضي، حتى طاله تشوُّه غريب، يجعلنا نعتقد أننا أمام فيلم كوميدي أصرّ فيه كاتب السيناريو والمخرج على خلط الأزمنة مع بعضها وترك الممثلين يتخبطون في ذلك العجين الذي لا رأس له ولا قائمة.

في إحدى زياراتي للأهرامات، قادني سائس عربة في جولة، كان مكتفيا بستر جسده بجلابية يلهو بها الريح، وحذاء مسروق من زمن السبعينات، اختفى طلاؤه تماما حتى أصبح بلون التّراب، ويبدو أن الكعب الضخم المتآكل قد عالجه الإسكافي عدة مرات ليخدم صاحبه مزيدا من الوقت، لكنّ الرجل يحمل هاتفًا نقالًا، ويقدّم نفسه بلغة إنجليزية مفهومة: «ماي نايم إيز هابي» ما يعني أنّ إسمه سعيد، ويتحدّث في السياسة، ويعرف أن العالم ليس بخير، ويؤكّد لي أن الدولار هو السبب، قبل أن يعيدني إلى زمن الفراعنة، ويرمقني بنظرة إعجاب وهو يروي لي قصّة كليوباترا مردفا: «وهي زيّك تمام، بتشبهك يعني، أكيد حضرتك من سلالة الفراعنة، باين عليكي..». الرّجل يبتسم طيلة رحلتنا بين الأهرامات وآثار الزمن الغابر، نصف أسنانه المتبقية صفراء فاقع لونها، وهذا أمر لم يبدُ لي أنه مقلق له، كونه متأسفاً فقط أن حماره أصبح عجوزا، ويلزمه حمار شاب ليحافظ على مهنته...!

لم أتمكّن من الإستمتاع برحلتي أمام بؤس الرجل الذي لا يملك من حاضره غير هاتفه النقال، حتى الأهرامات، والمتحف، وكل المعالم التي خلّفتها حضارة الفراعنة العظيمة، لم تكن في تناغم مع بؤس المواطن الذي يسعى جاهدًا لجعلك تحبّ مصر، وتعجب بتاريخها، في لحظة ما شعرت أن كتابًا مصورًا حول المكان كان أكثر رأفة بعواطفي من تلك الرحلة.

ابن العشرين والثلاثين وسط ذلك الموزاييك المأساوي لا يمكنه أمام هاتفه النقّال الذي يحمله بكبسة زر إلى أقاصي العالم أن يصدّق أنّه يعيش قدره، بل يعرف جيّدًا أنه يعيش وضعا فُرض عليه، ويعرف أن المعضلة تكمن في طريقة إدارة الأمور لا غير. لكنّه بالمقابل يستحيل أن يقنع "هابي السعيد" بأنه يستحق حذاءً جديدًا، وجلابية محترمة، وطبيب أسنان يعالجه، وعربة أفضل وحمارًا شابًا على الأقل ليرى السائح مصر الجميلة التي تستحق عظمة تاريخها الغابر.

نعم يستحيل على شبان الزمن التكنولوجي أن يقبلوا بمزيد من الإهانات لإنسانيتهم، وهم يرون أترابهم يستمتعون بالحياة بطرق مختلفة، حتى دون أن يملكوا تاريخًا عريقًا، وأطلال حضارات عظيمة، وهذا هو الوضع في العراق، والجزائر، وسوريا وباقي الدول العربية، وهذا هو سرّ كل هذه الثورات التي يبحث رجال الأنظمة القديمة عن أسبابها، ولعلهم يدركون الحقيقة لكنها تجاوزت أدواتهم القديمة في التعامل مع الأوضاع المستجدّة.

في سنوات مضت كان منع دخول الكتب التنويرية إلى بعض البلدان، وإغراق السوق بالكتب الدينية الصفراء، كافيان لتثبيت الزمن على ساعة الماضي، كان سهلا تجنيد آلاف الشبان بدون مقابل للقتال من أجل قضية خاسرة في أفغانستان، ثم جاءت مرحلة أخرى أكثر تعقيدًا، حين أصبح التواصل الإليكتروني طريقة سهلة لتزويد بؤر الحرب بالوقود البشري من أصحاب الأدمغة الخام غير المستعملة.

لقد شكّلت المعرفة قاعدة مهمّة لإقلاع بعض الشعوب نحو القمّة، وشكّلت بالنسبة لأنظمة استبدادية جشعة بمفهومها العكسي قاعدة للتحكم في شعوب خاملة، تتربّع على جبال من الذهب دون أن تعرف طريقا لإخراجها والإستفادة منها، وبين شعوب وأخرى يلعب الزمن لعبته الخطيرة، فحين يستحيل إيقاف عجلة الزمن على الدوران، تتحرّك آلة الحرب لحصد أرواح الفئات الشابة، وتهجير بعضها، وتكسير ما تبقى منها، أليس هذا ما يحدث في أغلب العالم العربي؟

العظيم فرنسيس بيكون قال في زمنه: "كل معرفة سلطة" وقد غيّر بنظرياته المسار الحضاري ليس فقط في انجلترا، بل امتدت أفكاره لتصبح العلامة المضيئة في القرن السابع عشر، ولعلّه كان من الذكاء أنّه لم يصدم الكنيسة بأفكاره العلمية ودعوته لطرح الأسئلة، كونه كان متدينًا، لكنه أشار إلى أن العقل في حالة ركوده لا يختلف عن رؤوس الحيوانات، وأن تعطيل العقل له عواقب وخيمة أمام زحف الزمن الذي لا يرحم.

نحن نندهش بكل بساطة أمام ولد صغير يستعمل تطبيقات هاتف نقّال حديث، دون تعليمه، لكنّنا لا نفهم الرّسالة الرّبانية من ذلك، يتعطّل حدسنا البشري أمام عوائق عديدة زرعت سلفا في تقبلنا لفكرة نقل المعرفة بين الأجيال وتطوّرها عبر الأزمنة.

نعرف أيضا أن الأطفال يتعلمون بسرعة، وأن الإنسان طالما هو شاب فتعليمه لتقنيات عديدة كسياقة السيارة واستعمال بعض الآلات يكون أسهل بكثير من تعليم كهل، ومع هذا يبقى إصرارنا غريبًا على تسليم دفّة مركبة الحياة لتلك الفئة العاجزة عن التّعلُّم ومواكبة حركة الزمن. يسيطر اللامنطق على سلوكنا دون محاولة لإصلاحه، نلجأ في الغالب للعنف بكل أنواعه للحفاظ على الثبات الوهمي لبقائنا، وهذا أمر محيِّر فعلًا.

في حوار مترجم للعربية يصرّح صاحب كونغور 2002 باسكال كينيار : "في كل معرفة ولادة جديدة " أو لنقل بمفهومنا البسيط «إنطلاقة جديدة» مع تصحيحات للذات، ولكل مساراتنا الخاطئة انطلاقا من تجارب سابقة، فهل يكفي هذا الشرح لتفكيك اللغز الصعب الذي تعجز مجتمعاتنا على ابتلاعه؟

في سباق الحضارات تبدو المعرفة مرتبطة ارتباطا وثيقا بالنقلة الزمنية، وفق ما تمليه علينا الخيارات، فإمّا أن نخضعها للحاضر وما يجرُّه من معطيات مستقبلية، وإمّا أن نجرّه للماضي المتلف، باستعمال بقاياه غير الصالحة للإستعمال تماما.

أستعيد أيضا حوارا لتشارلي شابلن حين سئل كيف استطاع أن يحقق كل ذلك النجاح؟ فأجاب: "بكل بساطة سلكت الطريق التي تؤدي إليه، وقد كانت أمامي" ولا أعتقد أن هناك من نجح بعودته للخلف.

كل لحظة تمرُّ من أعمارنا هي لحظة ثمينة، لأنّها لا تعود، يستحيل استعادتها إلا إذا أرّخنا لها بتدوينها، دون أن تكتمل تمامًا بمظهرها اللغوي أو السّردي القصصي، إننا نسعى فقط لتثبيتها ربما لمتعة شخصية دفينة، لكنّها في الحقيقة رسالة مشفّرة لأجيال ستأتي فيما بعد، كل فعل إبداعي شيفرة ستفهمها أجيال المستقبل، أمّا الفضاءات الخاوية من الإبداع فهي سجون أبدية لكائنات تحيا وتموت على الإيقاع نفسه، مثل تلك المدن الميتة التي تعج بها الخارطة العربية، المنسية في الجبال والصحاري وكأنّها أوكار حيوانات في أزمنة القحط...

لا خلاصة لهذا الموضوع في الحقيقة، لا نهاية له ونحن لا نزال على هامشه، نتابع أبناءنا يموتون بشتّى الطرق في بقاع بلداننا، فيما أقلية الأقليات تعتمد ساعة متوقفة لقياس الزمن، وأدوات بدائية للتعامل مع عقول نابضة بالأفكار.

لا نهاية حاليًا، في انتظار أملٍ ما.

# الحياة هنا الآن

أختار في ايام العطلات قراءة كتب وممارسة أنشطة بعيدة عن العمل المعتاد رغبة في التغيير والخروج من الرتابة، لكن أين الهرب من الأخبار التي تطاردنا ليل نهار على شاشات هواتفنا المحمولة، وكيف تعدّ نفسك متابعا جيدا لمجريات الامور إذا فاتتك الأحداث لمدة يوم او يومين؟

عصمت الموسوي

ثمة ضريبة لابد من دفعها، وتأجيل عمل اليوم إلى الغد سيقتضي منك بذل جهد أكبر، لكن ذلك يهون إذا تذكرت أن لجسمك وعقلك ووجدانك عليك حقوقاً. في كتاب جديد يتحدث عن كيفية احتفاظ الانسان بتوازنه في عالم مشوش، يكرر الكتاب جملة شائعة: "الحياة هي ما يحدث لنا بينما نحن منشغلون بانجاز خطط أخرى"، وهو يريد القول إن اغلبنا قد توقف عن عيش حياته والاستمتاع باللحظة الراهنة الحية المتوفرة بين يديه والكفّ عن التفكير فيما عداها، الحياة اما صارت مؤجلة او تبدو وكأنها في مكان آخر، ويرى الكاتب أن البشرية تعيد كل يوم تكرار نفس الأخطاء بغباء وحمق تماما كالفأر الذي يعاود الدخول الى نفس الجحر متأملا وجود الجبنة.

لذا يلهث أغلبنا من أجل المال والمكانة والمنصب والنفوذ باعتبارها عناصر السعادة، وفي خلال عملية البحث هذه تضيع منا حياتنا ونبتعد عن أنفسنا، تفارقنا البساطة ويغادرنا نقاء الـذات ونعجز عن استفتاء قلوبنا والركون إلى حدسنا ونصبح كالبحيرة التي فقدت صفاءها وسكونها، فيصير من الصعب استجلاء ما بداخلها من هدوء وصفاء وحقيقة.

إن كتب تطوير الـذات في الغرب بما تحمله من فلسفات حياتية جديدة تستند في اغلبها على علوم البرمجة العقلية التي تؤكد على حقيقة واحدة: "غيَر داخلك، يتغير خارجك" ومن أجل الوصول إلى هذه المرحلة فإن الطرق إليها تتعدد والمؤلفات والبرامج تختلف وتتنوع، بيد أنها جميعا ترمي إلى غاية واحدة هو استعادة الانسان لنفسه واسترجاع بساطته وتمثله لقيم الحب والتسامح والانسانية وايلاء الروح عناية لا تقل عن العناية بالجسد.

إن احكامنا ومفاهيمنا المسبقة وتحاملاتنا تجعلنا ندور في نفس الحلقة المفرغة الجالبة للمرض وللمشكلات النفسية وللعراقيل التي تحول دون التغيير المفضي إلى السعادة، وأغلبنا يرنو إلى التغيير ولا يريد أن يتنازل أو يتخلى عما في نفسه أو حوله من "كراكيب"، واللافت أن برامج تطوير الذات قد أصبحت صناعة رائجة في الغرب، وتتضمن لا مجرد مؤلفات وورش عمل ومحاضرات فحسب؛ ولكن تمتد إلى رحلات السفر والانضمام إلى "الخلوات" البعيدة التي تفصل المرء عن كل عناصر التشويش وتقربه من ذاته الحقيقية.

دفعت احدى صديقاتي مؤخرا ما يقارب الألفي دينار للمشاركة في أحد هذه البرامج وأقامت بين مجموعة مكونة من جنسيات عديدة، كلهم مهمومون ومتأزمون وباحثون عن السكينة والاستقرار النفسي.

البرنامج استغرق أسبوعًا من التطبيقات والطرائق العملية وملخصه يقول: عد إلى نفسك المضيَعة فما فائدة أن تكسب الدنيا وتخسرها، ورغم البديهيات من النصائح والمبادئ التي تطرحها هذه الكتب والمستمدة في الكثير منها من الفلسفات والأديان الروحية والتي لا تنكر فوائدها إلا أن الوقوع في المصيدة وارد فيها، فهي أيضًا قد أضحت تبشيراً بدين جديد إلا أنه عالي الربحية.

وإن كان بعضها يسعى إلى اخـراج الانسان من "النمطية" والقوالب الجامدة التي يعيش في سجنها، إلا أن وعودها الدنيوية بالفرح والسعادة والسلام سرعان ما توقع المرء في "نمطية" من نوع آخر، ولذا فإن القاعدة التي تظلّ أساسًا ثابتًا باعتقادي، هي السعي إلى التغيير دومًـا، وعدم الركون إلى الجمود المنافي لسنة الكون والأشياء.

# في الحاجة إلى اليسار

يواجه اليسار، أفكاراً وأحزاباً وتيارات، تراجعاً كبيراً في العالم أجمع، إلى درجة يبدو فيها أنه في حالة غياب كامل عن الفعل، حتى في الدول التي عرفت تاريخياً حركات يسارية وازنة، ولئن كانت الحركات النقابية لا تزال تعاند وتكافح ضد الهيمنة شبه المطلقة لقوى الرأسمال، وتحكّمها في القوانين، وإدارتها للسياسة، واختزالها للديمقراطية في العمليات الانتخابية، على حساب التوزيع العادل للثروات في المجتمع، وتراجع مستويات الرفاهية، إلا أن الحركات النقابية تبقى حركات مطلبية، لا تطال جوهر النظام السياسي، بل توجهاته في سن القوانين، ما يجعل من النضال النقابي يراوح في مساحة ضيقة.

يتأسّس اليسار في مختلف تياراته على اعتبار أن الدولة/السلطة هي أداة بيد الطبقة المسيطرة اقتصادياً، وبالتالي فإن المهام الكبرى لليسار هي تحرير السلطة من هيمنة قوى الرأسمالية، لمصلحة الطبقات المنتجة، وتتأسّس هذه المهام النضالية على ما أنتجه الفيلسوف الألماني كارل ماركس (1818–1883) من تحليل حول طبيعة الاقتصاد الرأسمالي، والكيفية التي تتم فيها مراكمة رأس المال، والتي تمكّن طبقة معينة، هي الرأسمالية، من حيازة السلطات والمؤسسات والأدوات، ما يجعل الدولة، بما فيها الدولة الديمقراطية، منحازة إلى مصالح الطبقة الرأسمالية.

لعب اليسار خلال الجزء الأكبر من القرن العشرين دوراً بارزاً في طبيعة الكثير من الأنظمة حول العالم؛ بل أنه أسهم في رسم معادلات النظام الدولي، مع انقسام العالم إلى اشتراكي ورأسمالي بعد نهاية الحرب العالمية الأولى ولغاية انهيار المعسكر الاشتراكي في مطلع تسعينات القرن الماضي، والذي تبرّر تداعياته بروز تيار فكري عولمي يقول بـ«نهاية التاريخ»، مُمثله الأبرز الفيلسوف وعالم الاقتصاد الأمريكي من أصل ياباني فرانسيس فوكوياما، الذي اعتبر أن سقوط المعسكر الاشتراكي هو انتصار نهائي لمصلحة الدولة الليبرالية، والمقصود ضمناً انتصار الرأسمالية، وهزيمة الاشتراكية، ومن ورائها قوى اليسار.

وإذا ما سلّمنا فرضاً بما ذهب إليه هذا التيار الفكري النيوليبرالي العولمي، بأن اليسار قد لقي هزيمة تاريخية ساحقة، فإنه من واجبنا النظر إلى النتائج التي وصل إليها النظام الدولي خلال العقود الثلاثة الماضية؛ حيث أصبحت الفوضى الخلاقة هي النظام الجديد، مع تحكّم وإحكام شديد لقبضة القوى العولمية، وتحوّل الحكومات إلى أدوات سياسية تنفيذية بيد الطبقات الرأسمالية، ما أفقد النظام الدولي أي حس قيمي أخلاقي، تفرضه عادة المعايير السياسية والمصلحية للتوازن الدولي، والتي تحد من تغوّل القوى الأكثر قوة، من أجل تحقيق شكل من أشكال السلم العالمي.

ما حدث فعلاً، وعلى نطاق واسع، قادته الآلات الإعلامية والأكاديمية والبحثية الكبرى، التي تمولها الطبقات الرأسمالية النافذة، هو شيطنة المفاهيم القيمية المرتبطة باليسار، من مثل الاشتراكية، والعدالة الاجتماعية، والنضال الطبقي، وكل ذلك لمصلحة منظومة قيمية أخرى، تقوم على تعزيز مفاهيم الاستهلاك. هل يمكن فعلياً الاستغناء الكلي عن اليسار الفكري والسياسي، وفي مصلحة من سيكون ذلك الاستغناء؟ ثمة أصوات عدة بين مفكري العالم تقول إن الليبرالية يمكن تكييفها اليوم مع متطلبات العدالة، بما فيها العدالة الاجتماعية، لكن هذه الأصوات تنسى أو تتناسى أنه ثمة افتراق جوهري بين الليبرالية واليسار، وهو أن الليبرالية تتأسس على قيمة الحرية، خصوصاً الحرية الفردية، بينما لا يمنح اليسار أهمية كبرى للمسائل الفردية، وإنما يعتبرها جزءاً من الحرية الأوسع، أي تلك الحرية القائمة على العدالة، والمرتكزة بدورها على مفهوم الطبقة.

بالطبع، لقي اليسار هزائم كبيرة أمام الرأسمالية، كما أن تسيّد رأسمالية معولمة اليوم لقيادة العالم، يجعل من حظوظ اليسار قليلة، لكن التغوّل الواسع للرأسمالية المعولمة يكشف عن حاجة ملحة وأساسية ليسار جديد، فقد أوضحت أحداث العقد الأخير عن زيف الكثير من الأوهام العولمية، بما فيها القيم الأساسية التي نهضت عليها الليبرالية، والتي تحولت إلى مجرد مبانٍ فارغة من أي مضمون حقيقي، وبروز الشعبوية في أسوأ نسخها، وهو ما يذكّر بمراحل سابقة من تاريخنا المعاصر، تحوّلت فيها الشعبوية إلى كارثة عالمية، من خلال النازية والفاشية، وهو المصير الذي يبدو أنه يلاحقنا اليوم، بأشكال مختلفة، لا تقل وحشية عما شهده العالم في النصف الأول من القرن العشرين.

حسام ميرو

# التأثير المتبادل بين السياسة والرياضة

( ١ – ٢ )

مع أن كثرة من الباحثين يرجعون تاريخ الألعاب الرياضية إلى حقب تاريخية بعيدة وحضارات متعددة، وعلى الأخص حقبة الحضارة الأغريقية التي بلغت أوج ازدهارها خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر قبل الميلاد، إلا أنه يمكن القول أن هذه الألعاب، وبخاصة كرة القدم، لم تظهر إلا في تاريخنا العالمي المعاصر مع تطوّر الثورة الصناعية، حيث برزت كرة القدم في الغالب في أحياء العمال الفقيرة.

وبوجه عام يمكننا القول أيضًا إن هذا الميلاد تمثل في أول دورة أولمبية جرت عام ١٨٩٦، وهو تاريخ غير بعيد عن بدايات سيدة الألعاب الرياضية «كرة القدم» التي يؤرخ بعض الباحثين بروزها المنظم عام ١٨٦٣ بعد انفصالها عن لعبة الرجبي، وتأسيس أول اتحاد لكرة القدم في العالم متمثلاً في الاتحاد الإنجليزي، وهو صاحب الفضل في وضع أساسيات قوانينها الأولية التي أخذت في التطور لاحقاً.

رضي السمّاك

أما أول أتحاد دولي لكرة القدم «الفيفا» فقد أُسس في باريس عام 1904، وقام بتنظيم أول بطولة له عام 1906، في حين كانت أول بطولة على كأس العالم جرت عام 1930 في الأورجواي التي فازت بالكأس بعد فوزها بأربعة أهداف مقابل هدفين ضد الإرجنتين وصادف ذلك أيضاً احتفالها بمرور قرن على استقلالها.

ولما كانت الحركة الرياضية العالمية وُلدت من رحم المجتمع الدولي المعاصر وارتبط تنظيم بطولاتها العالمية بإستضافة الدول لها على أراضيها فإن هذه الحركة، سواءً على مستوى بطولات الألعاب الأولمبية أم على مستوى لعبة كرة القدم أم على مستوى أي بطولة من بطولات الألعاب الاخرى، لم تكن بمنأى عن تجاذبات الصراعات والأهواء السياسية بين الدول، ولاسيما خلال المنازعات والحروب الدولية، إن باتجاه تصعيد المنازعات والتوتر بين الدول، وإن باتجاه توظيفها لتخفيف حدة التوتر ووسيلة لتحقيق السلم والاستقرار العالميين، بل ولصالح استقرار الحركة الرياضية نفسها، علماً بأن الحركة الأولمبية تقوم مبادئها على إبعاد المعترك السياسي ومختلف الصراعات ذات الأبعاد الدينية والإثنية والطائفية والعنصرية عن ميادين المنافسات الرياضية الشريفة.

وفيما يلي نستعرض سطوراً من تلك الملابسات التي شابت ذلك:

– في الدورة الأولمبية الثانية التي أُقيمت بباريس عام 1900 احتج الوفد الامريكي على أن تنطلق الدورة في يوم الأحد باعتباره يوماً دينياً تُؤدى فيه الشعائر الدينية المسيحية في الكنائس، وتكرر الاحتجاج في دورة لندن لعدم رفع العلم الامريكي فوق الاستاد الأوليمبي «واتيت سيتي» مع أعلام بقية الوفود المشاركة، واعتبروا ذلك إهانة قومية لعلم بلادهم.

– بعد أن نجحت الثورة الشيوعية بقيادة ماوتسي تونج في إقامة دولتها عام 1949 على معظم أراضي الصين رفضت بشكل قاطع أي اعتراف دولي بتايوان المنشقة عن الدولة الأم، بما في ذلك مشاركاتها في الألعاب الأولمبية، وانسحبت الصين الشيوعية من الحركة الأولمبية عام 1958 احتجاجاً على مشاركة تايوان فيها ثم عادت عام 1968 في دورة الألعاب التي جرت في المكسيك. وفي دورة مونتريال الأولمبية عام 1975، خضعت كندا – تحت دوافع من المصالح الاقتصادية مع الصين الشعبية – لضغوط الأخيرة بمنع تايوان من المشاركة في الدورة تحت مسمى «جمهورية الصين الديمقراطية « ما أثار احتجاج حليفة تايوان الولايات المتحدة التي وقفت بقوة إلى جانب تايوان، بيد أن كل التسويات البديلة فشلت نظراً لتشدد الوفد التايواني والذي انتهى به المطاف إلى الإنسحاب من الدورة.

– كانت دورة برلين الأولمبية عام 1936 في عهد هتلر المسرح الأبرز لمحاولات توظيف الحركة الأولمبية لغايات سياسية ومن ثم حرفها عن أهدافها الإنسانية، فلم يتورع هتلر عن استنزاف ميزانية بلاده برفع الميزانية المقررة لإستضافتها من 3 ملايين دولار إلى 30 مليون دولار وهو رقم خيالي في الصرف على مناسبة رياضية بالمقاييس الإقتصادية لذلك الزمان.

وكان من جملة مرامي هتلر توظيف هذه الميزانية لبناء استاد يلبي مطامحه الرياضية والعسكرية، ومن ذلك استخدام أرضية الاستاد لشق خنادق وساديب وبناء مخازن يمكن استعمالها عند تنفيذ مغامراته الخارجية التوسعية في أوروبا، وهنا يمكننا بوجه من الوجوه تشبيه ما أنفقه هتلر من بذخ على استضافة الدورة بما أنفقه اسماعيل باشا على افتتاح قناة السويس المصرية من بذخ اسطوري عام 1869 ( 2 مليون و 400 ألف ألف جنيه أسترليني) فأمر هتلر تلفزيونه بنقل وقائع الدورة للشعب الألماني، وأنفق بسخاء على توفير خدمات للإعلام الخارجي بما لا يخطر بالحسبان على بال، ومن ذلك توفير منطاد لنقل صور الدورة ورسائل المراسلين إلى مختلف الدول الأوروبية، ووضع تحت الصحفيين تسهيلات تكنولوجية أذهلتهم، وأمر مصانعه بتصميم جرس عملاق بارتفاع 30 متراً رمزاً للرايخ الثالث، وشُقت وجُددت الطرق الجديدة بقلب برلين، وعُملقت

يتبع

عماراتها بارتفاع 60 متراً على المباني العادية وفي قممها نُصبت أعلام الرايخ الثالث، وعارضت اللجنة الأولمبية والكثير من الدول والمنظمات ووسائل الإعلام العالمية هذه المبالغات في البهرجة التحضيرية للدورة وما تنطوي عليه من توظيف واضح صارخ للدعاية النازية، وبخاصة في ضوء رفع شعارات تستحث اللاعبين الألمان بالتمجيد وتؤكد تفوقهم الرياضي العرقي الحتمي لأنهم من سلالة الجنس الآري الذي لايُقهر، وطلبت اللجنة إزالة اللافتات العنصرية وأرسلت وفداً من قِبلها للتأكد من ذلك إلى برلين لكنه دخل في مفاوضات شاقة مع هتلر للتوافق على تَسوية وسطية وتم إنقاذ الدورة بحل توافقي أشبه بالمعجزة !

– وكان للحروب والمنازعات التي جرت خلال القرن العشرين (حربان عالميتان وحرب باردة طويلة الأمد بين المعسكرين الرأسمالي والمعسكر الاشتراكي) تأثير مباشر على انتظام الدورات الأولمبية أو مقاطعة عدد من الدول لها ، ومثلها دورات كأس العالم لكرة القدم، ففي دورة هلسنكي عام 1952 حذّر الجنرال الامريكي جون مكارثي، الذي اشتهر بعدائه المسعور للاتحاد السوفييتي والشيوعية، وفد بلاده وجميع الوفود المشاركة مما أسماه «فيروسات الشيوعية» على إثر قرار موسكو المشاركة في تلك الدورة بعد مقاطعتها للدورات السابقة.

– وقادت الولايات المتحدة حملة دولية لمقاطعة دورة الألعاب الأولمبية التي جرت في موسكو عام 1980 على خلفية قيام الاتحاد السوفييتي بإرسال قوات عسكرية إل ى أفغانستان عام 1979 لنصرة حليفه النظام اليساري هناك، فما كان من موسكو إلا أن قادت بدورها حملة دولية لمقاطعة دورة لوس انجلوس الأولمبية عام 1984. علماً بأن توظيف سلاح المقاطعة سياسياً لدورات الأولمبياد في الصراعات بين الدول يتعارض مع مباديء الميثاق الأولمبي.

– بالنظر إلى الضغوط التي يمارسها المجتمع الدولي على جنوب افريقيا للتخلي عن سياسة التمييز العنصري بحق السكان الأصليين وسياسة الأبارتهايد فقد أتت الضغوط أُكلها واُستبعدت من الدورات الأولمبية منذ دورة طوكيو عام 1964 حتى دورة برشلونة عام 1992 التي شاركت فيها بعد سقوط النظام العنصري السابق.

– بتنسيق بين الرئيسين الصديقين الأندونيسي أحمد سوكارنو والمصري جمال عبد الناصر، وهما من أبرز الأقطاب التاريخيين المؤسسين لحركة عدم الانحياز مطلع الستينيات التي عُرفت بمناوئتها للنظامين العنصريين في جنوب افريقيا وفلسطين المحتلة «إسرائيل»، قام الأول بالامتناع عن توجيه دعوة لهذه الأخيرة للمشاركة في دورة الألعاب الآسيوية التي استضافتها أندونيسيا عام 1964 ما دفع إسرائيل لرفع شكوى للجنة الأولمبية الدولية التي أقرت بمشروعية الشكوى وفق مباديء الميثاق الأولمبي وفرضت عقوبات بحق أندونيسيا تمثلت في رفض الأعتراف بالدورة ونتائجها، فما كان من الصديقين إلا أن تداعيا إلى تأسيس منظمة بديلة غير خاضعة للجنة الأولمبية «الأمبريالية»، حسب تعبير سوكارنو، وقد أطلقا عليها «الجانيفو» وأنضمت إليها 38 دولة جلها من حركة عدم الأنحياز الأفرو آسيوية وبعض دول أمريكا اللاتينية.

واُعتبر تأسيس هذه المنظمة تحدياً لما سُمي وقتها مآرب الهيمنة التي ترمي أمريكا وحلفاؤها ابتزاز دول عدم الانحياز المستقلة والمعادية للأحلاف العسكرية الغربية من خلال نفوذها الضارب في اللجنة الأولمبية. لم تصمد بطبيعة الحال هذه اللجنة الرياضية الدولية الفتية في مواجهة مناورات أمريكا لتسييس الحركة الأولمبية خدمةً لمصالحها العالمية، فقد قامت مخابراتها ال CIA بتدبير أنقلاب عسكري في أندونيسيا عام 1966 لإطاحة النظام الوطني بزعامة أحمد سوكارنو، ثم قامت في العام التالي (يونيو / 1967) بدعم وتشجيع حليفتها المدللة إسرائيل بشن عدوان عسكري على ثلاث دول عربية على رأسها مصر، وكان من أبرز أغراضه – إلى جانب أهداف اخرى – الإطاحة أيضاً بنظام الزعيم الوطني والقومي جمال عبد الناصر والذي سرعان ما رحل فجأةً بعد ثلاث سنوات تحت تأثير صدمة تداعيات العدوان على صحته النفسية ومضاعفات أحد أمراضه الجسدية الوراثية، وحوّل خلفه أنور السادات بعدئذ النظام الناصري إلى نظام موالٍ لأمريكا نفسها! .

قاسم الحلال

## آمال في العام الجديد

أما وقد دخلنا عاماً جديداً، هو 2020، فإننا نتمناه عاماً خالياً من الحروب، وأن تكون حياة بسطاء الناس وفقرائهم أسهل وأيسر. نقول هذا ونحن نتأمل فيما يجري حولنا، في هذا الوضع المأزوم، حيث تسود اللامبالاة والتهميش والنبذ، ما يخلق في النفوس تدميراً غير محسوس. والتجربة تقول إن الفرد المدمرلا يستطيع العطاء، ولا الصمود وسط هذه التناقضات، ومهما يذل من جهود العطاء، يكون عطاؤه ضعيفاً، وغير مؤثر في واقعنا.

حين نعطي نريد أن نعطي بإخلاص، وأن نلمس في عطائنا دقائق الوضع لنخلقِ في الإنسان فهماً يخاطب حياته، لكي بكون مثمراً في أدائه، مؤسساً لعطاءٍ متطور راقٍ، يعالج مستجدات وضعنا المتناقض المسكون دائماً بمواريث الجهل والتخلف، ما يجعله وضعاً مأزوماً، متربصاً بما وبمن يحاول أن يجعل منه واقعاً أفضل.

نحن نعيش في دوامة سلبية، وفي بؤرة التناقض والتفكك الاجتماعي لن نكون قادرين على مساعدة أنفسنا ولن نستطيع وضع آلية تخلق رؤية يتفق عليها أبناء النسيج الواحد، وذلك لبناء مجتمع ذي رؤية جادة فيما يسعى إليه من مخرج مبرمج، أولويات برنامجه هي الإنسان والوطن،

نخم نعيش في واقعٍ يمرّ فيه العالم بتداعيات للحروب التي خلفت نكبات ومآس، لا مثيل لها طيلة امتداد تاريخنا، وتسود فيه أمراض ليست نتاجً الجوع والعوز فحسب، وإنما أيضاً نتيجة لسموم ما تنتجه الآت الحرب، حيث بلغت حدّتها مستويات غير مسبوقة حيّرت الأطباء، ورغم أن الحرب لم تصلنا فإننا لسنا بمنأى عن آثارها ومخاطرها المحتملة.

إذا أردنا الجدية والتطور إلى الأمام، علينا أن نفهم آلام وآمال الناس بصدق، وأن نفهم وضعنا المؤلم والمُرّ، لكي يأتي اليوم الحلو، وحتى على الصعيد الشخصي فإن الكثير منا يعيش بسلبية، فهو لا يقرأ ولا يمارس الرياضة ولا يشارك في أنشطة الأندية والجمعيات وغيرها، لما لذلك من إيجابيات على صعيد تلاحمنا وتآلفنا، والتغلب على ما يحيط بنا من السلبيات، وتوحيد جهونا في العمل نحو التطور والبناء والتنمية.

ونختم بمناداة المبدعين من كتاب وصحفيين ومشتغلين بالسينما والمسرح، نقول للصحفيين: اكتبوا عن معيشة الإنسان المهموم، ونقول للسينمائيين: اتحفونا ب»سينوراهات» عن الحياة، حثوا الناس على التأخي وبناء اللحمة الوطنية ونبذ الطائفية.

# كوبا، تشي جيفارا، ومُشكِلة «الإشتراكية في بلد واحد» (1– 2)

ربما تكون الانتخابات الرئاسية في كوبا قد أشارت إلى نهاية حقبة من الزمن. في ظاهر الأمر، كان قرار راؤول كاسترو Raúl Castro التنحي جانباً، يرمزُ أكثر من أي شيء آخر، إلى رحيل الجيل التاريخي للثورة وإلى عملية تجديد للقيادة في كوبا – وهي العملية التي بدأت قبل ذلك بكثير من اهتمام وسائل الإعلام الغربية بالاعتراف بِها. سارع مُنتقِدو الحكومة الكوبية إلى التعبير عن أسفهم للاستمرارية غير المُنقطعة لمشروعها الإشتراكي والتنبؤ مرة أُخرى بعودة الجزيرة إلى حُضن الرأسمالية.

ترجمة:
غريب عوض

بقلم:
Ron Augustin

لقد أثارَ تفكك الكتلة السوفيتية قبل ثلاثين عاماً وكل تغيير في السياسة من جانب كوبا تكهنات بأن انهيار الاشتراكية، وإدخال التحرر الاقتصادي الشامل، واستعادة الرأسمالية في كوبا أمور وشيكة. ومن خلال زيادة الضغط من الخارج، يكون هدف الحصار الأمريكي لكوبا هو: تدمير القاعدة الاقتصادية الثورية لكوبا. ولكن إذا نظرنا إلى العِزلة النسبية لكوبا في عالم من النزعة الاستهلاكية واللامُبالاة السياسية الرجعية بالإضافة إلى التعديلات السياسية التي أجبرتها الظروف على القيام بِها، فليس على المرء أن يكون عدواً للنموذج الكوبي لإثارة الشكوك حول جَدوى كُلُ هذا.

من المشروع حقاً التساؤل عما إذا كان بإمكان كوبا، كمُجتمع اشتراكي، على المدى الطويل "البقاء" في بيئة مُعادية. أو بالأحرى، كيف يُمكن لكوبا، وبالتالي الإشتراكية في بلد واحد، أن تصمُد وتتطوّر ضد التطويق الاقتصادي والثقافي والعسكري للإمبريالية الأمريكية بشكل خاص، والنظام الرأسمالي عموماً. ومن الناحية الجدلية، تسري التناقُضات الخارجية عن طريق التناقُضات الداخلية، ولولا مُقاومة الشعب الكوبي المستمرة، لكان الحِصار الأمريكي والضغوط الرأسمالية الأخرى كافية لتقويض استقلال كوبا السياسي والإقتصادي بشكل خطير.

## الإقتصاد السياسي للتحوّل الإشتراكي

مُنذُ الأيام الأولى للثورة الكوبية، شكل تعزيز الظروف الداخلية والخارجية لبقائها اهتماماً بالغاً لدى أنصارها، على الرغم من أن نهجهم لم يكُن دفاعياً فقط. بعد الإستيلاء على السُلطة، ربما كان تحويل الجيش الثوري إلى قوة دفاع نظامية مُهمةٌ سَهلة. ومع ذلك، فإن إعادة تنظيم الإقتصاد ووضع نظام للتخطيط كأساس للتحوّل الإشتراكي للمجتمع الكوبي كان أمرٌ مختلفاً تماماً. في ذلك الوقت، تم تكليف – أرنيستو «تشي» جيفارا Ernesto Che Guevara بإدارة اثنين من أكثر التدابير الاقتصادية حساسية وإلحاحاً وهما التصنيع وتحويل النظام المصرفي.

في تشرين الثاني/نوفمبر عام 1959، بعد شهرين فقط من بدء في تنظيم إدارة التصنيع في المعهد الوطني للإصلاح الزراعي، تولى جيفارا أيضاً رئاسة بنك كوبا الوطني. في هذه الوظيفة، قام بإدارة ستُ عمليات رئيسية لمنع هروب رؤوس الأموال واستعادة السيطرة على الموارد المالية للدولة: 1) سحب احتياطي الذهب الكوبي من الولايات المتحدة، 2) إدخال تراخيص التجارة الخارجية، 3) تأميم النظام المصرفي، 4) إنهاء عضوية كوبا من المعاهد المالية الدولية التي تُهيمن عليها الولايات المتحدة، 5) إقامة وكالة للتجارة الخارجية، 6) الاستبدال المحوري للأوراق النقدية. وبعد العقوبات الأمريكية الأولي في تشرين الثاني/أكتوبر عام 1960، قاد جيفارا بعثة تجارية لمدة شهرين إلى الاتحاد السوفيتي، والصين، وألمانيا الشرقية، وتشيكوسلوفاكيا، وكوريا الشمالية. في تلك المرحلة، كان لديهِ بالفعل خبرة تجارية من رِحلاته إلى يوغوسلافيا، وشمال أفريقيا، و آسيا في العام السابق.

في شباط/فبراير عام 1961، كان جيفارا ذي دورٌ فعال في تأسيس وزارة الصناعة، التي ترأسها حتى مُغادرته إلى الكونغو بعد أربع سنوات.

وفي الوقت نفسه، واصل نشاطه كقائد عسكري وكأحد مُهندسي وزارة أمن الدولة الجديدة في كوبا التي نظمت الدعم لحركات التحرير في أمريكا اللاتينية وأفريقيا. وفي الحقيقة أن بقائه في وزارة الصناعة لفترة طويلة يُبيّن أنهُ اعتبرهُ من الضروري تعزيز وتقوية الثورة في الداخل قبل التفرغ للمشاريع الخارجية. وعلى الرغم من ميولها القارية وتطلعات جيفارا في الخارج، كانت الأولوية القصوى للقيادة الكوبية هي تنفيذ وتعميق الظروف الاقتصادية للمرحلة الأولى من التحول الاشتراكي في البلاد، مع عدم إهمال الظروف الدولية التي تؤثر على الثورة بأي شكل من الأشكال. ولم يُعلن جيفارا وظائفه في القيادة الكوبية إلا عندما أصبح واثقاً بأن النظام الذي ساعد في تثبيته أصبح ناضجاً بما يكفي ليسير قُدُماً بدونه.

وقبل مُغادرته في مُهمتهِ الأخيرة في أمريكا اللاتينية، أمضى جيفارا ثلاثة أشهر في منزل صيفي صغير بالقُرب من مدينة براغ، أُطلق عليه إسم Venkov (ومعناه بلغة التشيك "الكوخ")، حيثُ كان يُعد كتاباً عن الاقتصاد السياسي للتحوّل الاشتراكي. في إحدى مذكراته للكتاب، طرح ونفى ضمنياً السؤال البلاغي: "أولاً وقبل كل شيء، هل يُمكن بناء الشيوعية في بلد واحد فقط؟ أشار السؤال إلى تصريحات أكاديمية العلوم في الاتحاد السوفيتي في دليلها للإقتصاد السياسي، والذي كان يُستخدم على نِطاق واسع لتدريب الموظفين الحكوميين في البُلدان التي تتلقى المساعدات السوفيتية. يدور جوهر مُلاحظات جيفارا من هذه الفترة حول تقييم نقدي لدليل أكاديمية العلوم السوفيتية واستنكاره للعواقب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للمُمارسات السوفيتية من السياسة الاقتصادية الجديدة لفلاديمير أليتش للينين إلى السياسات "الاشتراكية في بلد واحد" التي تلت ذلك التعايش السلمي."

ويتلاءم مشروع الكتاب مع المناقشات التي بدأها جيفارا خلال سنواته على رأس وزارة الصناعة في كوبا، والتي أصبحت تُعرف بإسم الحِوار الكبير. في حين تركزت المُناقشات حول الدعوة لنظام مالية ميزانية الوزارة على ما يُسمى بنظام التمويل الذاتي أو حِساب التفاضل والتكامل الاقتصادي المُطبّق في الاقتصادات الاشتراكية الأخرى، شمل نطاقها القضايا الأساسية التي تُحدد فترة الانتقال من الاقتصاد الرأسمالي إلى الإقتصاد الاشتراكي، من منظور كوبي ودولي معاً. كانت القيم الأخلاقية و "حقائق الوعي" من أهم اهتمامات جيفارا، ويمكن العثور على تحليلاته الأكثر شمولاً لأهميتها في التنمية الاشتراكية في واحدة من سلسلة من المقالات المنشورة في مجلة الوزارة، Nuestra Industria (صناعتنا)، خلال عامي 1963 و 1964.

في اجتماع وزاري عُقِدَ في الثاني من تشرين الأول/أكتوبر عام 1964، حَذَرَ جيفارا موظفيه من الخلط بين مفهومي الاشتراكية والشيوعية، مُشيراً إلى أن الاشتراكية، كفترة انتقالية بين تدمير النظام الرأسمالي وبناء الشيوعية، لا يمكن تصوّرها بطريقة خطية. وذكّرهم بأن، "إذا قرأتم لينين بانتباه، " فبإمكانكم الانتباه إلى فترة إضافية: وهي فترة البناء الاشتراكي

يتبع

يتبع

التي "تنتقل من تأسيس سُلطة العُمال إلى اللحظة التي يمكن أن نُسمي المجتمع إشتراكي، بتعبير آخر، حينما تُصبح جميع وسائل الإنتاج تحت سيطرة المجتمع، وحينما لا يكون هناك استغلال إنسان من قِبل إنسان آخر، إلخ. والمُكافأة حسب العمل ستُحدد الفترة المَمتدة من الاشتراكية إلى الشيوعية، في حين أن المكافأة في ظل الشيوعية ستكون حسب الحاجة".

بعد أن لاحظ "أن الاقتصاد السياسي لفترة التحوّل لا يزال غير موجود تماماً،" حاول أن يُقدم بعض من عناصر التحليل الرئيسية لفهم ونقل "الفترة التي خلالها تتأسس سُلطة العُمال، حيثُ يتم اتخاذ قرار الانتقال نحو الاشتراكية، وحيثُ استمرت سلسلة كاملة من علاقات الإنتاج المُرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالرأسمالية. "اعتقد جيفارا أن هذه العلاقات يمكن التغلب عليها بالتخطيط المركزي إلى حد ما، والتحوّل التدريجي في التركيز من الحوافز المادية إلى الأخلاقية.

في إشارة إلى المدى الذي لا يزال يسري فيه قانون القيمة في اقتصاد اشتراكي مُحاط باقتصادات السوق، خلص جيفارا، في نفس الاجتماع، إلى أن التخطيط الاشتراكي قد مكن الإنسانية في النهاية من "كسر وإنشاء قوانين اقتصادية" ذات قدرة، والتي لا يمكن اختصارها لمجرد تطوير القوى المُنتجة في بلد واحد، ولكن هذا يعني ضُمناً تطوّر الاشتراكية على نطاق عالمي، لأن الاشتراكية هي نظام عالمي وتؤثر على العالم بأسره".

## الإشتراكية في بلد واحد

لقد توقع كارل ماركس وفريدريك أنجلز أن تحدث الثورة الاشتراكية بعد التطوّر الكامل لقوى الإنتاج، وبهذا تَحدثُ أولاً في أكثر الاقتصادات الرأسمالية تطوّراً. استند هذا الرأي إلى الملاحظة، كما عبر عنها البيان الشيوعي، بأن البرجوازية لم «تصنع الأسلحة التي تجلب الموت لها،» فحسب، بل صنعت أيضاً أولئك «الذين يستخدمون تلك الأسلحة ببراعة،» وهي الطبقة العاملة الحديثة. وفي نصوص أصبحت تُعرف بإسم الأيديولوجيا الألمانية، كتبا: «من الناحية التجريبية، الشيوعية مُمكنة فقط كعمل المُهيمنة» 'في وقت واحد'، مما يفترض التطور العالمي لقوى الإنتاج والتعامل المُتبادل العالمي المُرتبط بها.»

استعداداً لكتابة البَيان الشيوعي، صاغ أنجلز قائمة، عُرِفَت بإسم مبادئ الشيوعية، أشار فيها في عام 1847 إلى ما يلي:

هل سيكون من المُمكن لهذه الثورة أن تحدث في بلد واحد فقط؟ كلا، إن الصناعة واسعة النطاق، بالفعل عن طريق إنشاء السوق العالمية، قد ربطت بين جميع شعوب الأرض ... بحيثُ يعتمد كل شخص على ما يحدث للآخر ... سوف يتطوّر بسرعة أكبر أو ببطْء أكثر وفقاً لما إذا كان تمتلك البلد صناعة أكثر تطوراً، وثروة أكبر، وكتلة أكبر من قوى الإنتاج. وبالتالي، سيكون من الأبطأ والأصعب تنفيذها في ألمانيا، والأسرع والأسهل في انجلترا. سيكون لها أيضاً تأثيراً مُهم على بلدان العالم الأُخرى، وسوف تتغيّر تماماً وتُعجّل بشكل كبير بأسلوب التطور السابق لديها. إنها ثورة عالمية وبالتالي ستكون في جميع أنحاء العالم من حيثُ المدى.

وبُناءً على هذه الافتراضات، بعد أكثر من نصف قرن وتحت الظروف الدولية المُتغيّرة، كان التراكم الرأسمالي المتقدم لا يزال يُعتَبر شرطاً مُسبقاً لبدء الثورة الاشتراكية. وهذا ما أشار إليه لينين عندما قال، في عام 1915، إن «التنمية الاقتصادية والسياسية غير المُتكافئة هي قانون مُطلق للرأسمالية. ومن ثم، فإن انتصار الاشتراكية مُمكن أولاً في عدة بُلدان أو حتى في دولة رأسمالية واحدها. «كان تقييمهُ للوضع الروسي بعد تنازل القيصر نيكولاس الثاني قسراً عن العرش في آذار/مارس عام 1917 كان بسبب الطابع الفلاحي للبلاد، «لا يمكن للبروليتاريا الروسية أن تنهض بالثورة الاشتراكية. ولكنهُ، أي الوضع الروسي، يمكن أن يمنح الثورة الروسية اكتساحاً قوياً من شأنه أن يخلق أكثر الظروف مواتية لثورة اشتراكية، فسيبدأ ذلك على نحو ما. ويُمكن أن يُسهّل ظهور موقف يُمكن فيه لرئيسها، وشريكها الأكثر موثوقية والأكثر اعتماداً، البروليتاريا الاشتراكية الأوروبية والأمريكية، الانضمام إلى المعارك الحاسمة.»

في السنوات الأولى بعد ثورة أكتوبر، توقع قادتها أن تكون في بداية عملية ثورة عالمية، التي اعتبروها أمرٌ ضروري من أجل تطوير الاشتراكية في دولة مُتخلفة اقتصادياً مثل روسيا، في ظل ظروف الحِصار العسكري والموارد المحدودة. كانت لديهم آمال عالية بنهوض الطبقة العاملة الألمانية، والتي تُعتبر في ذلك الزمن الأكثر تطوراً بالرغم من الانتهازية القومية لقادتها الديمقراطيين الاشتراكيين خلال الحرب العالمية الأولى وتجاهلهم للعمل الأممي للطبقة العاملة الألمانية» التي أشار إليها ماركس بالفعل في عام 1875. ولكن الهيجانات الثورية في ألمانيا تعرضت للأختناق بالدم سريعاً. ومن مكانها في السجن، بضعة شهور فقط قبل مقتلها، علقت روزا لوكسيمبورغ Rosa Luxemburg بمرارة: "ليس عدم نُضج روسيا هو ما اثبتتهُ أحداث الحرب والثورة الروسية، بل هو عدم نضج البروليتاريا الألمانية لإنجاز مهامها التاريخية."

كُلما أصبح أكثر وضوحاً بان تعزيز الثورة الروسية لا يُمكن أن يعتمد على الحركات العُمالية في الغرب، كُلما راءا البلاشِيفة أنفُسُهُم مُجبرين على محاولة التقدُم داخل حدودهم. وكما تنبأ لينين قبل عقد من الزمن، حيثُ بدأت العواقب الاقتصادية للتضاد بين البروليتاريا والفلاحين، أو بين المصالح المدنية والريفية، تُحدد سياساتهم. وفي هذا الأثناء، قام الجيش الأحمر وحركات التضامُن في المراكز الرأسمالية بإجبار قوات الثورة المُضادة التي كانت تدعمها السُلُطات الإمبريالية على التراجع مما ساعد في منع المزيد من التوغل العسكري.

دفاعاً عن تبني السياسة الاقتصادية الجديدة ذات التوجه السوقي في معظمها في عام 1921، خلص لينين إلى استعادة الأحداث الماضية:

عندما بدئنا الثورة الأُممية، قُمنا بذلك ... بسبب عدة ظروف ألزمتنا على البدء بها. فاعتقدنا: أما أن تأتي الثورة الأُممية لمُساعدتنا، وفي هذه الحالة سوف نظمن انتصارنا، أو سنقوم بعملنا الثوري المُتواضع إيماناً منا بأنهُ حتى في حالة الهزيمة فسنكون قد خدمنا قضية الثورة وبأن خبرتنا سوف تنتفع بها الثورات الأُخرى ... وقبل الثورة أو حتى بعدها، اعتقدنا: أما أن تقوم ثورة في بلاد أخرى، في الدول الأكثر تطور رأسمالي، مُباشرةً، أو على الأقل سريعاً جداً، أو يجب أن نهلك. إلا أن الأحداث في الواقع، لم تمضي على طول خط مستقيم كما توقعنا.

بعد مرور عام، أكد لينين على أنهُ «مُنذُ عام 1918 اعتبرنا رأسمالية الدولة بمثابة خط مُحتمل للتراجع».

ومع ذلك، فقد استغرق الأمر من قيادة الاتحاد السوفيتي الشاب خمسُ سنوات أُخرى أو نحو ذلك إلى أن أخضعوا حتماً آمال الحركات الثورية العالمية لحماية المصالح الوطنية العاجِلة. وبعد مرور عام على وفاة لينين في عام 1924، أصبحَت «الاشتراكية في بلد واحد» عقيدة السياسة الأساسية، حيثُ استبدل التضامن الدولي بالجغرافيا السياسية، أو بعبارة جيفارا، «الأُممية بالشوفينية». وتحوَل الاعتراف بفشل الثورة العالمية إلى إنكار ضرورتها والاقتناع بأنهُ كان كلُ شيء خاضعاً للدفاع عن المصالح الوطنية، ومرة أُخرى على حِساب الإمكانات الثورية في أماكن أُخرى. وكسياسة، كان لها تداعيات على عمليات التحول الخاصة بالاتحاد السوفيتي. تمجيد النظام الحالي محل التحليل النقدي. على افتراض أن لينين كان سيحاول في النهاية تصحيح مسار الأمور، فقد لامهُ جيفارا بسُخرية على «خطأين رئيسيين، الأول كان السياسة الاقتصادية الجديدة، والثاني على موته، وإن لم يكُن عن قصد».

الاشتراكية في بلد واحد لم يكُن أبداً مفهوماً نظرياً جيداً، حتى عندما استمر في الارتباط الوثيق بالرأي الحاسم القائل بأن الرأسمالية ستخضع لتناقُضاتها، أو أن تطوّر قوى الإنتاج سيُفضي تلقائياً تقريباً إلى الإشتراكية. مُنذُ نشأتها، بالكاد تطوّرت هذه العبارة إلى أبعد من مُجرد تبريراً للواقع والسياسة العملية. وكما عَبّرَ عن ذلك الكاتب الفيلسوف جان بول سارتر Jean Paul Sartre، إنها "الوحشية الأيديولوجية" في "عُمق إضفاء الطابع المؤسسي على الثورة الروسية." وبتصميم عقائدي، قام جوزيف ستالين Joseph Stalin وخصومه باستثمار الشُعار مع اقتباسات لينين خارج السياق، وفي النهاية، لم يخدم إلا تبرير عمليات التطهير السياسي وإبقاء الأحزاب الشيوعية في جميع أنحاء العالم تحت سيطرة "موسكو". أبقت الأحزاب التروتسكية والماوية مُتورطة في مُناقشات لا طائل من ورائها. واستمر الاتحاد السوفيتي في دعم مُنظمات في الغرب، إضافةً إلى حركات التحرير فيما أصبح يُطلق عليه إسم العالَم الثالث، ولكن توجُهُها ودعمها المُقدم إلى قوى أُخرى كان مشروطاً بشكل مُتزايد بأعتبارات جُغرافية سياسية ضيّقة. فبدلاً من تبني الحركات الثورية في أي مكان تظهر من أجل إضعاف قبضة النظام الرأسمالي على حياة ومُقدرات الشعوب، تمت التضحية بمُبادرات لا تُحصي، ولم تحصل ألا على النذر اليسر من الدعم، أو توقف نشاطها. لقد تم استخدام المُنظمات والانتفاضات الشعبية في ائتلافات مشكوك فيها لِصالح "الاشتراكية في بلد واحد"، وبالتالي، "التعايش السلمي"، مع ما يترتب على ذلك من عواقب مُدَمرة على الحركة الشيوعية الدولية والشعوب عموماً. والأمثلة على ذلك كثيرة ومعروفة لا داعي لذكرُها هُنا. فأصبحت عقيدة الاشتراكية في بلد واحد استعارة لأيديولوجيا دفاعية التي تحل محل نفسها في تطبيق ثوري هجومي، "خطير وأناني بمعنى عميق، لأنهُ يُزعزع الشعوب أخلاقياً ويتسبب في نسيان الاشتراكية للشعوب الأُخرى، الأبطأ في عملية المضاهاة."

# لماذا كل هذا الاهتمام بعلي الغرير؟

في منتصف الثمانينات كانت المدارس تجمع عددًا من المربين الاستثنائيين الذين مثّلوا دور «الكشافة» كما في عالم كرة القدم للبحث عن المواهب الصغيرة والواعدة، من بين أولئك الكشافة كان الأساتذة عاطف السلطي، صالح الفضل، سالم سلطان رحمهم الله جميعاً. والأستاذ حمزة محمد، وسامي القوز أطال الله في عمريهما.

من هنا بزغ نجم مجموعة من الموهوبين الصغار الذين كان من بينهم علي الغرير، ولأن منظومة اكتشاف وتطوير المواهب كانت تتمثل في العلاقة التكاملية بين المسرح المدرسي، والنشاط الثقافي في الأندية وجد علي الغرير ضالته في نادي مدينة عيسى.

حسين العريبي

في الثمانينات كان نادي مدينة عيسى حاضنة للمواهب الثقافية في البحرين، وكان على رأس العاملين على تطوير الحركة المسرحية واتساعها خارج أقطابها النخبوية كل من المرحوم الأستاذ سالم سلطان، الأستاذ القدير عبدالله السعداوي، والأستاذ القدير جمال الصقر، ومجموعة واسعة أخرى من الفاعلين المؤثرين في الحركة المسرحية الذين صقلوا موهبة علي الغرير، كما فعلوا مع حسين الرفاعي وجمعان الرويعي ومصطفى رشيد، ومجموعة أخرى لا تتسع هذه السطور لحصرها. لم يكن دور تلك المجموعة يقتصر على الإنتاج الفني والثقافي بل كان يتجاوز ذلك إلى تنمية الأخلاق والمثل لتلك المجموعة الشابة والمخلصة من الفنانين الشباب.

ولعل أبرز مثال على تلك التربية، تمثّل فيما دأب نادي مدينة عيسى على تكريس عادته في الأعياد السنوية حيث يتجه مجموعة من منتسبي لجانه العاملة إلى دور رعاية المسنين وذوي الاحتياجات الخاصة لمعايدتهم، ورسم الابتسامة على وجوههم. هناك تألق على الغرير عزفًا على آلة العودة وهو يرسم الابتسامة على تلك الفئة المهمشة وربما المنسية من أفراد المجتمع.

في التسعينيات كـتب القدر لسينما الأندلس أن تتحول إلى الصالة الثقافية ليعتلي علي الغرير خشبة المسرح ضمن فريق من الشباب اللامع في مسرحية «اختطاف»، التي كانت من بواكير الإنتاج المسرحي لفرقة «الصواري» المسرحية المؤسسة حديثاً في ذلك الوقت، وخلال تلك المسرحية ظهر علي الغرير بطاقة كوميدية لا تضاهى وسط مجموعة من شباب نادي مدينة عيسى الذين رفدوا تجربة مسرح «الصواري» مثل جمعان الرويعي، محمد الصفار، سلمان العريبي.

بالتزامن مع ذلك أو قبله بقليل أطلّ على الغرير بعد مدفع الإفطار عبر الشاشة الفضية على كل أهل البحرين من خلال مقدمة مسلسل «البيت العود» «اثتبووووووووووووووووووون» نبيك اتقول خوش خميس خوش حوش ثلاث مرات بسرعة». لتتوالى النجاحات سنة بعد أخرى في المسرح والتلفزيون، حتى انتكس كل شيء، ماتت الدراما التلفزيونية المدعومة من الدولة، ومات المسرح واختفى علي عن الأنظار.

لكن وعلى ما يبدو ليس للكاريزما تاريخ للصلاحية، عاد علي الغرير بعدها بسنوات ليشكّل مع صديقه خليل الرميثي واحدة من أنجح الثنائيات البحرينية وأكثرها استمرارية (جسوم وطفّاش) وهي ثنائية امتدت نجاحاتها لتطال سائر دول الخليج العربي.

وبالعودة إلى السؤال الأساس: لماذا كل هذا الاهتمام بعلي الغرير؟

لم يكن على الغرير مجرد فنان سنح له القدر أن يحظى بشهرة واسعة، لقد كان إنسانًا متواضعًا ومحبًا وملتصقًا بأرضه. أحبّ كل الناس بمختلف تلاوينهم وربما ساعدته في ذلك البيئة التي نشأ وترعرع بها في (فريق الحطب) في المنامة، وبعدها في إسكان مدينة عيسى. من خلال هذه الكاريزما المتكاملة وصل علي الغرير إلى كل بيت بحريني، بل وكل بيت خليجي، لذا فان فقد علي الغرير هو فقد لنا جميعًا.

إلا أن جزءً ثانياً من هذا الحكاية بزغ إلى السطح بمجرد أن سجي علي الغرير إلى مثواه الأخير، هي قصة مسؤولية الدولة تجاه نخبتها من الفنانين والأدباء والمفكرين وسواهم.

لقد استكمل علي الغرير مشوار نجوميته بحضوره الطاغي وجهده الخاص حينما كانت الدراما التلفزيونية والمسرح البحريني في حالة موت سريري، في حين لم تتح هذه الفرصة لعشرات أو ربما مئات غيره ممن اندثرت موهبتهم بعد تراجع الدولة عن دعمها واهتمامها بالدراما التلفزيونية والإنتاج المسرحي.

سجي علي الغرير، تاركاً ورائه أطفالًا يتامى دون منزل يحتويهم، وعلى الرغم من رد الفعل المشكور التي قامت بها الدولة في توفير منزل خاص لعائلة علي الغرير، إلا ان حالة علي الغرير تصحّ على الكثيرين غيره من الفنانين الذي قدّموا وما زالوا يقدمون الغالي والنفيس من أجل رفعة وطنهم وهم يعانون في الوقت ذاته من غياب الأمن الاجتماعي والوظيفي.

قد تصلح قصة علي الغرير لأن تكون عبرة تحثنا على إعادة النظر ومن ثم الاعتبار إلى الفن والفنانين في هذه الأرض الطيبة.

وداعاً علي الغرير .

# علي الغرير.. كل شيء يداوى بالحب والضحك

محمد فاضل العبيدلي

في منتصف ثمانينات القرن الماضي، كان الفنان الراحل علي الغرير ضمن مجموعة من فناني المسرح الشبان الذين جاؤوا من المسرح المدرسي الى نادي مدينة عيسى. هناك، بدأ هؤلاء الشبان العمل مع بعض الأسماء البارزة في المسرح لدينا. لقد تتلمذ هؤلاء على ورش عبدالله السعداوي ومسرحياته ومسرحيات جمال الصقر ومصطفى رشيد بكل اتجاهاتها الفنية، من التجريب و الكلاسيكي الى الكوميديا. من هناك انطلق الغرير وزملاءه ليشكلوا فيما بعد جيلاً جديداً من الفنانين الذين أثروا الحركة الفنية في البحرين بموجة جديدة من الإبداعات والتجارب في المسرح ولاحقا في السينما. في هذه الموجة الجديدة، كان الغرير أحد وجوهها البارزة في ميدان الكوميديا.

لكن إلى جانب المسرح، التزم هؤلاء الشبان تقليداً كان سائداً في نادي مدينة عيسى وهو زيارة المستشفيات ودور الرعاية في ثاني ايام العيد لمعايدة المرضى والنزلاء. كانوا يزورون دور رعاية المسنين ومراكز رعاية ذوي الاحتياجات الخاصة ونزلاء مستشفى الأمراض النفسية. وثمة صورة متكررة كانت تنشر في صفحات المجتمع في الصحف لهذه الزيارات يظهر فيها علي الغرير وهو يعزف العود وابتسامة عريضة على محياه وهو محاط بزملائه الفنانين والنزلاء.

قد تكون هذه أفضل بداية للحديث عن علي الغرير الذي رحل عن دنيانا واخذ معه "إبتسامته/نا" و"ضحكته/نا". هذه كانت بدايته: "تعلم الفن وحب الناس».

لعّل هذه البداية تفسر لنا لماذا لم يكن الغرير من ذلك النوع من الفنانين الذين يسعون للشهرة بأخبار النميمة والاستعراضات التافهة، فمن تلك الصور الأولى مع نزلاء دور الرعاية الى السنوات القليلة الماضية وحتى رحيله، لم يكن يظهر الا وسط الصغار الذين احبوا شخصية "طفاش» ورفيقه "جسوم" التي يؤديها الفنان خليل الرميثي رفيق رحلته وصديقه وتوأمه الفني.

عرفته منذ تلك الأيام، وتلك كانت بداية تاريخ طويل سيأتي لصداقة وأخوة ومودة. لا أذكر منه يوم لم يضحكني فيه.. لا اذكر فيه يوماً سمعته يغتاب أحداً.. يوماً أو مرة يلقي بكلمة سوء بحق أحد.. بشتيمة، وجه لا تذكره الا منبسطاً بإبتسامة وضحكة عذبة معدية، شخص لا تذكره الا بنكتة أو حركة مضحكة او تعبير كوميدي.

عندما نلتقي في جمع من الأصدقاء، تشعر أن طاقة كوميديا هائلة تشعّ منه، فلا شيء طبيعي لدى علي الغرير وسط الأصدقاء، يسلم على كل واحد منا بحركة كوميدية يرتجلها في لحظتها فيطبع اللقاء بهذه البداية الكوميدية المتبسطة الخالية من اي توتر. يتوالى تأثير افتتاحية الغرير الكوميدية هذه أحاديث على نفس النسق، فكل شيء في احاديثنا سيغدو كوميديا، من مصاعب الحياة إلى مشكلات الوسط الفني ونقائصه إلى انعدام التشجيع والنظرة السلبية، كل شيء يداوى بالكوميديا وكل الكوميديا هي علي الغرير، أكان ذلك في مجلس او مكتبة الصديق ذو القلب الكبير علي الشرقاوي أم في صالة مسرح أو رحلة الى بستان او لقاء مصادفة في أي مكان. لكن الاماكن والرحلات تعددت وليس لرحلة او رفقة لتخبرنا اي نوع من الناس هو علي الغرير سوى تلك الرحلة التي اخذتنا وجمع من فناني البحرين الى جزر حوار في تسعينيات القرن الماضي.

الآن فقط، عندما استعيد تفاصيل تلك الرحلة لم أجد من تسمية تليق بها سوى ان أطلق عليها «رحلة الهذيان الكوميدي الذي لم يتوقف». كانت رحلة امتدت يومين، لا اذكر اننا توقفنا فيها عن الضحك للحظة. فما ان انطلق البانوش في عرض البحر، إلا وانطلق الهذيان الكوميدي الذي استمر على مدى يومين متتالين لم نتوقف فيها عن الضحك. كان فنانو المسرح هناك، كان الكوميديون هناك، المخرجون والمؤلفون، من كل هؤلاء كان لعلي الغرير دور بطولة شاركه فيه الراحل العزيز سالم سلطان، وكنا نحن الباقين ممثلين مساندين ومتفرجين.

عندما دشّن الغرير مرحلة جديدة في مسيرته الفنية مع دور "طفاش" في مسلسل "يوميات طفاش"، تأسست شراكة فنية وانسانية مع نجم كوميدي آخر هو الفنان خليل الرميثي، فالإثنان سيغدوان ثنائياً فنيا وإنسانياً لا مثيل له. وسواء تعلق الأمر بتحقيق رغبة طفل على سرير المرض في رؤية "طفاش" و"جسوم"، أو افتتاح مشروع أو مهرجان، فإن كثرة ظهور الغرير والرميثي مع الأطفال في احتفالات لا حصر لها في البحرين والسعودية وعُمان تظهر أن الفاصل بين "طفاش" وعلي الغرير يكاد يضيع، فالأول يضحك الأطفال ويضحكنا بسذاجته المرسومة في نص مكتوب، أما الثاني الحقيقي فيبهج الأطفال وأهلهم بطيبته وضحكه وتواصله الدافئ والتلقائي مع الصغار وكأنه واحد منهم.

الآن اصبح الجميع يعرف أن علي الغرير كان طاقة هائلة من الكوميديا، كأن الله قد خلقه ليضحكنا ويرسم الابتسامة على وجوهنا ووجوه الصغار، لكن من سيحوز كل هذا الحب من الناس، لم يفعل في الحقيقة سوى أن اعطاهم هو الحب.

الغرير فعل ذلك بتلقائية ودون افتعال ودون ضجيج وبتواضع بحريني جمّ. اكتب وانا أغالب حزني وأكتمه.. فلدي منه كلمات بصوته بعثها لي قبل ايام قليلة ردا على تحية مني ذكّرته فيها بنكتة بيننا.. ستبقى كلماته هذه تخنقني بضحكة وعبرة.

# القراءة واستجابة القارئ

حينما نتحدث عن القراءة فإننا نتحدث عن الكتابة والنص والكاتب والقارئ واللغة والخطاب، لما لهذه من دور في إيجاد العلاقة بينها، وبين صيغة الفرد والجمع، بين الكتابة والقراءة، بين المرسل والمرسل إليه، بين المادة المقروءة، لذلك لم تعد العلاقة بين القارئ والمقروء محصورة على التلقي والاطلاع، بل هي أعمق من ذلك بسبب تعميقها للحالة الثقافية والنقدية والذوقية لما يُقرأ، والسؤال: هل القراءة هي الوصول إلى الحالة الذهنية المرتبطة بالنص الذي يشكل استجابة سلبية، أي الذهاب إلى مقاصد الكاتب، أم القراءة الذهاب إلى مقاصد البنى اللغوية والسيميائية؟ وأين يكمن دور الناقد؟ هل بتاريخ تجاوب الكاتب لحالة ما أو قضية ما؟ أم بالتأثير المحتمل للنص بعد كتابته؟ أي أين يكمن دوره، هل داخل النص أم خارجه؟ أم بين هذا وذاك؟ وبما أن اللغة أداة تواصل، ومخزن الثقافة، وطعام الحضارة، ومرآة تعكس حالة المجتمع وأفراده ومتطلباته، فهي أداة للتعبير عن الحاجات والمكنونات والتطلعات، سواء اللغة المقروءة أم اللغة المسموعة.

د. فهد حسين

## النـص والخطـاب

عندما نقرأ قد لا نفكر للوهلة الأولى منهجية كتابة ما نقرأه، ومكوّناته، ولكن بمجرد الإبحار في عوالم المقروء تتكشف لنا منهجية الكتابة، والعلاقة داخل هذا النص المكتوب في ضوء تكوينه وبنائه بالمفردات والجمل والعبارات؛ فالنص فهو مبنى جاهز، ويكمن بين تكوينه المعماري وتركيبه الهندسي شكلاً وموضوعًا، فالنص حدث لفظي كلامي يحمل بين طياته وظائف معينة، ويمكن أن نتساءل ما هو النص؟ هل هو تلك الرموز اللغوية؟ ليعني أن النص ملفوظ عبر النطق واللسان. هل النص هو ما تنقرئ فيه الكتابة، وتنكتب فيه القراءة؟ أي أن النص ليس ملفوظًا لغويًا فحسب، بل هو المنطوق والمسموع والمقروء، هو اللوحة الفنية، هو المنظر الطبيعي، هو كل ما يمكن بناؤه والانسجام بين أجزائه، لما للنص من تفاعل مع النمط الاجتماعي أو الاقتصادي أو السياسي أو الفني أو غير ذلك من علائق المجتمع والثقافة بشكل عام.

وفي سياق المقارنة بين النص والخطاب، فالخطاب وحدة تواصلية بلاغية يكون ناتجًا عن مخاطب ومخاطب آخر، أي يتطلب متحدثًا ومستمعًا، كما أنه يأخذ دلالة الحوار والتأمل؛ لأنه نشاط تواصلي يتأسس على اللغة المنطوقة، أي في صورة التواصل اللساني الشفوي المعتمد على الجانب التركيبي، كما أنه يرتبط بلحظة إنتاجه، أما النص فيتصف بالديمومة والاستمرارية؛ لأنه مكتوب، ويتطلب متلقيًا غائبًا، ويتأسس بالبناء الملحوظ، لذلك فهو نشاط تواصلي يتأسس على اللغة المكتوبة، وفي هذا الإطار يوضح ميشل فوكو سلطة الخطاب الذي يعني عمليات التنظيم الداخلية بقوله: أن هناك ثلاثة أنواع من الإجراءات التي تتقاطع لتشكل حدود الخطاب، وهي: الموضوع، والطقوس الخاصة بكل ظرف حيث لا يمكن الحديث عن كل شيء في كل الظروف، والامتياز الممنوح للذات المتكلمة، إذ لا أحد يمكن له أن يتحدث كل شيء( ).

## الكاتـب والكتابـة

مرت الكتابة بمراحل متعددة وهي تنسج علاقاتها الثقافية والتواصلية مع القارئ الذي فرضت عليه تطوير أدوات فهمه، وتفكيك طبيعة الثقافة بحسب كل مرحلة تاريخية، وتحولاتها الاجتماعية والفكرية، وفي ضوء الأنماط المتعاطية معها، ومن أجل المحافظة على هذا التواصل مع الثقافة، شرع الإنسان منذ القدم إلى التدوين والحفظ الإرث الإنساني من الضياع، فسجل تاريخه وحضارته وثقافته، بل حتى يومياته العادية وغير العادية، ولكن هذا الحاجة فرضت على الإنسان ثم الكاتب وقتذاك أن يفكر في طريقة تضمن له ما يحفظ تاريخه سواء في سياق طبيعة الكتابة وطرائقها ونوعها، أم في الأدوات المستخدمة التي كانت متوافرة آنذاك، وبعد المحاولات المتكررة مرت الكتابة بمراحل خمس، هي: الرسم الكلي للشيء، ثم فهم المكتوب من خلال أخذ جزء من هذا الكل ليكون رمزًا لما يريد حفظه أو تخزينه، ثم المرحلة التي صغر فيها الجزء ليكون رمزًا صوتيًا وبخاصة بعد تعدد الأصوات وتحريك اللسان، وفي هذه المرحلة برز الرمز المقطعي، ثم التداخل بين الرمز المرسوم والرمز الصوتي وتحديد ملامح الكتابة الصوتية الرمزية كأن نكتب حرفًا ونعني به كائنًا أو شيئًا ما، ثم أصبح تعليم القراءة والكتابة من الكل إلى الجزء.

وطموحنا أن تكون نصوص كتابنا ومبدعينا الشباب، وحتى بعض أصحاب التجربة والخبرة ذات مستويات عالية فنيًا وجماليًا، لكنه يصطدم بالمنتج، فالكاتب الشاب لم يفكر في هندسة النص وبنائه معماريًا وهندسيًا، بقدر ما يقوم بالبناء معتقدًا أن الذي يكتبه هو عمل جميل ورائع، وسيتلقاه القارئ فرحًا مسرورًا من دون أن يضع الكاتب الشاب أو الشابة نصب العين ذلك الاهتمام بالأساسات والقواعد النحوية والإملائية واللغوية والأسلوبية، أي هنـاك « نصوص تتوق إلى قارئ جديد، وأخرى تسعى إلى الاكتفاء برغبات القراء العاديين، فالنص الجديد لا يبوح لقارئه بما كان على هذا الأخير أن يطلبه، والكاتب المجدد لا يكتب لجمهور عصره كي يفوز برضاه، وإنما يكتب ليخلق جمهورًا »(، فالعمل النقدي المبني على أسس منهجية يكون ناهضًا بالدور الفعلي الموكل إليه في سياق التباينات والتجاذبات الثقافية والاجتماعية في المجتمع، بل السعي إلى استشراف الأفكار التي تقوم بتهديد استشراء هذا الزيف والفساد والابتدال، وفي الوقت ذاته يسهم الفعل النقدي في إتاحة المجال لتأصيل الجديد الذي يعطي القارئ والمثقف فضاءً من التجريب والمشاركة من أجل رعاية المنتج واستثارة الإبداع.

## القـــراءة

القراءة في أبسط دلالاتها هي مهارة من مهارات اللغة، أي إدراكية، تتطلب إدراك العلاقة بين الرمز اللغوي المكتوب أو المسموع، وعقلية تسعى إلى تفسير الرموز اللغوية وتحليلها وتفكيكها، واستنتاجية حين تصل بالرمز نفسه إلى استنتاج لدلالاته، وتفاعلية تأملية حين يحاول القارئ إعطاء تأويلات لتلك الرموز، ومعانيها، ودلالاتها، فتزيده إدراكًا وتفاعلاً وانفتاحًا وتعاطيًا، بمعنى أن القارئ يبدأ بقراءة النص، فإنه ينتهي إلى ما يضيف إلى

يتبع

القارئ خبرة وتجربة، وهذا يعني أن « القراءة محاولة فهم المحتوى والتعرف على المضمون، وكشف المغزى الكامن في النص ، كما أن النص الأدبي لا يمكن اختزاله فيما يريده الكاتب، ولا يمكن اختزاله في ذاتية القارئ، وفهمه للنص، فتعدد القراءات تكون بتعدد الأزمنة وتعدد القراء، لذلك فالنص يقع بين فهم الكاتب، وفهم القارئ ليتكون من خلال فهم آخر مستبطن بذاته، فـ « في كل كائن معروف كائن غريب، ولابد أن ينفذ الكائن الغريب إلى مألوف الخطاب، فيستقر فيه فيألفه».

والقراءة لا تقل أهمية عن الكتابة في وجودها، وتفاعلها داخل المجتمع، ومهما تعددت وتنوعت فهي حالة إجرائية لما هو مكتوب، ولا تخرج عن كونها نشاطًا ثقافيًا ومعرفيًا وذوقيًا يتمظهر في النص الذي ينتظر القارئ ليدخلا معًا في علاقة تواصلية مسيجة بوعي القارئ، ولغة النص، وتراكيبه المتعددة، أما إذا تعامل القارئ مع النص تعاملاً عاديًا يمرّ عليه مرور الكرام، فإن النص يشعر بغربة التواصل والتعامل لما يعتقد أن إجحافًا بحقه قد وقع عليه قبل أن يقع على كاتبه، وهنا يمكننا أن نتساءل: هل القراءة فعل أو نشاط يحمل صفة التعقيد؟ إذا فعلاً هي بهذه الصفة فللقراءة أبعاد متعددة ومختلفة حتى تشكل هذا التعقيد، بمعنى آخر، تحتاج القراءة إلى حاسة بصرية، وحالة فسيولوجية، أي تتطلب بعدًا بصريًا، وبعدًا دماغيًا، كما تتطلب بعدًا معرفيًا من أجل معرفة الرموز والدلالات بغية الفهم والاستدلال، وكذلك بعدًا عاطفيًا أو وجدانيًا لما للقراءة من جانب انفعالي وذوقي وجمالي وتخييلي، ثم أن القراءة بحاجة إلى من يمارسها التدريب على بيان الحجج والبراهين كلما فسّر أو حلّل أو أوّل، لما للنص من بعد رمزي.

ومع مرور الوقت وتطوّر النقد والتجريب بدأ النظر إلى النص من خلال دور القارئ، ومدى فهمه له الذي يستدعي أن يكون على قدر من الوعي الثقافي والنقدي والجمالي حينما يبني علاقته بالنص، ففي العام 1968 كتب رولان بارت مقالة يدعو فيها إلى موت المؤلف، والهدف من ذلك هو النظر إلى النص وتحليله ليس من خلاله الكاتب، وما يحيط به من مؤثرات اجتماعية أو سياسية أو غير ذلك من سياقات التاريخ أو الواقع المعيش، وليس إلى النص من خلال بنيته اللغوية، ولكن النظر إليه عبر القارئ الذي ينبغي أن يكون قارئًا حصيفًا يحاكي النص، ويسعى إلى استنطاقه والوصول إلى دلالات من خلال خبرته ووعيه ومعرفته الثقافية والفنية والجمالية.

## القـــارئ

حين نؤمن بأن « القارئ وارث النص الشرعي الذي يفسره، وبتعبير أدق يشكله في وعيه على هواه «( )، وعليه برز أنواع من القراء، مثل: القارئ الحقيقي الذي تتكشف ملامحه الثقافية والتعاطي مع النص في ظل ردود أفعاله تجاه النص لما يحاول جاهدًا لإيجاد آلية لاستنطاق النص نفسه، والقارئ المفترض الذي ربما يتوقعه الكاتب والاعتقاد بأنه أي القارئ يرى ما هو معروض عليه في النص، والقارئ المثالي الذي يسعى إلى محاولة كشف تلك الكثافة الموجودة في النص والخاصة بالمعاني المحتملة من جهة والمشفرة من جهة ثانية، كما هناك القارئ المعاصر والقارئ المتميز، والقارئ مهما كانت إمكاناته في التلقي، وقدرته على التحليل والتفسير والتأويل، يظل هناك قارئ يسعى إلى قطع أجزاء من النص هنا وهناك، كما يضع أجزاء لهذا النص أو لما قطعه من أجل الحصول على انسجام يؤكد على ما يقوم به حيث يطوّع هذا القطع ليؤول الذي اقترحه أو فرضه على النص، وهنا تبرز القراءة الترقيعية.

وأشار آيزر في كتابه فعل القراءة لعدة أنواع من القراء جاء به بعض المنظرين، كالقارئ الأعلى عند مخائيل ريفاتير: هو مصطلح جمعي لقراء متباينين، ولهم كفاءات مختلفة، والقارئ المخبر عند فيش: أي تأثيرات النص على القارئ الذي يهتم بمعالجته، والقارئ المقصود عند فرجينيا وولف: وتعني إعادة بناء فكرة القارئ الذي يقصده الكاتب، والقارئ التخييلي البارز عن طريق مجموعة واسعة من الإشارات المختلفة، فهو غير مستقل عن المنظورات النصية الأخرى، مثل: الراوي – الشخوص – الحبكة، والقارئ الضمني، وهناك القارئ الفعلي، فهو الذات الفردية القارئة التي تمارس فعل القراءة في صورته الأعم، والقارئ النص، وهو الذي يركز على ما تتابعه عيناه على الورق، ويسعى ما أمكن إلى استبعاد السياقات الخارجية على النص، والقارئ العليم، وهو الذي يملك النضج الكافي لاستيعاب لغة النص، والمعرفة الكافية بأعراف التراث الأدبي الذي ينتمي إليه النص، والقدرة على صياغة الأحكام وإطلاقها على مختلف المستويات .

وهذا يعني أنه لا يمكن قراءة أي نص بعيدًا عن تمحور القارئ والنص وفق سياق منهجي معين، وفحص متأنٍ من أجل الوصول إلى دلالات عبر التأويل والتحليل والمقَاربات المختلفة، لهذا « فالقراءة ليست مجرد البحث عن المعاني في النصوص، بل هي البحث عن أنحاء التأثير الذي تتركه النصوص فينا، إذ يمكنها أن تغضبنا أو تخيفنا أو تغرينا. فتأثير الكتابة يتجاوز مجرد فهمنا لها «( )، والعلاقة بين القارئ والنص علاقة ديناميكية متواصلة وفي تحاور مستمر وفق ما يظهره النص من تمثلات ووفق ما يبرزه القارئ من خبرة وتجربة ودربة ودراية.

## الأثر الثقافي من القراءة

عندما نؤمن بأهمية التغيير، وعدم الثبات أو الاغلاق لأفق القراءة، فإن التفسير والتحليل والتأويل مهمات قائمة تجاه النص بحسب النظرية التي يعتمدها القارئ في أفق الثقافة والوعي لجعل النص مفتوحًا، وفي سياقات مختلفة، وأي نص مهما كان نوعه، فإن تلقيه من قبل القارئ تحدده معطيات الزمن والتاريخ والثقافية، ولا خلاف في أن للقراءة دورًا فاعلاً في تنمية الإدراك والوعي الثقافي والمعرفي لدى أفراد المجتمعات، وانتشالهم من قاع التخلف والجهل والتردي الاجتماعي إلى عتبات من النور والحلم والجمال والوعي، فالقراءة تسهم في بلورة النضج الفكري، ورفع الذائقة الشخصية والجماعية، كما تسعى إلى بناء الشخصية في سياقات صيغ التعامل مع الآخر، والوضع العام، وفي منظومة النظام الاجتماعي، فمجتمع لا يقرأ فهو مجتمع ميت، ومجتمع يقرأ يعني مجتمع ينمو ولديه قدرة على التحديات والصعاب.

ولو تأملنا الحالة الثقافية والقرائية في المجتمع العربي عامة، ومجتمعنا البحريني بخاص، ودرسنا طبيعة القراءة، ونوعيتها، والقارئ، فإن تراكمًا من الأسئلة ستحضر أمامنا نتيجة إلى عدم جدية العديد من البرامج المتلفزة والإعلام المختلف في تقديم ما يشجع الفرد على القراءة والاطلاع، ابتعاد الشريحة المثقفة بعض الشيء عن المشهد الثقافي العام، وتقليص دور بعض الأسر تجاه الأبناء، والاكتفاء بالتوجيه العام من دون الاهتمام بتوجيههم نحو القراءة، والاطلاع المتقن، وعدم التحفيز الفعلي نحو القراءة الواعية الناقدة، فضلاً عن الاتجاه السريع نحو انتشار الثقافة الاستهلاكية، وثقافة السوق المسطحة، ونعود لنؤكد أن العلاقة بين القارئ والنص تزداد رسوخًا، والمسافة بينهما تكمن في عملية البعد والقرب، فكلما بعدت المسافة واتسعت حدث الخضوع والقبول من قبل القارئ للنص، وكلما ضاقت المسافة بينهما برزت ممارسة الفعل الثقافي لكل منهما.

– محمد مريني، القراءة والسلطة، مجلة البيان الكويتية، عدد466، مايو2009، ص7.
– فانسون جوف، القراءة، ص7.
– لمياء باغشن، نظريات قراءة النص، علامات في النقد، النادي الأدبي بجدة، مج10، عدد39، 2001، ص113.
– عبدالعزيز بن عرفة، الدال والاستدلال، ص17.
– عبدالكريم درويش، فاعلية القارئ في إنتاج النص – المرايا اللامتناهية، الكرمل، عدد64، صيف 2000، ص207.
– فولفغانغ أيزر، فعل القراءة – نظرية جمالية التجارب في الأدب، ص20–30.
– صبحي حديدي، ما هي القراءة؟ من هو القارئ؟ وكيف التعاقد على المعنى، الكرمل، عدد63، ربيع 2000، ص136–133.
– فانسون جوف، القراءة، ص10.

# من نابولي الإيطالية: «فلومينا مارتورانو» بمنظور عربي

يلتقي دومينكو سوريانو رجل الأعمال الناجح بفيلومينا مارتورانو، تنشأ بينهما علاقة تستمر لسنوات تمتد أكثر من عشرين سنة – حسب تعدد المصادر التالية – ، تتطور العلاقة بينهما في هذه السنوات في العيش المشترك في بيت واحد في الشكل الزوجي المعتاد دون ارتباط رسمي لكنه يعهد إليها بمتابعة أعماله وإدارة شؤون بيته وعمله طيلة فترات سفره الكثيرة في البحث عن الملذات هنا وهناك، والحياة مستمرة بشكل طبيعي شريكين وسفر وانشغال مستمر بالعمل، إلى وقت حدوث نقطة التحول لما رغب سوريانو في الإقدام على خطوة الزواج الرسمي ليس من فلومينا التي قضت وقتًا طويلًا من حياتها معه، وكرست جل اهتمامها له ولأعماله التي حافظت على نجاحها رغم عدم وجوده معظم الوقت، بل من شابة تعمل عنده بوظيفة صغيرة في المتجر مع فارق عمر كبير بينهما، وهو ما خلّف الحسرة والقهر عند فلومينا التي تفتق ذهنها عن فكرة ظاهرها خبيث وباطنها الإحساس بالأحقية في مشروع الزواج هذا، حيث تدعي المرض حتى الاحتضار في سبيل الزواج من سوريانو فيقوم بتنفيذ طلبها تحت وطأة طلبها وحالتها التي تستدعي تنفيذ طلبها «الأخير»، وما أن يقترنا رسميا حتى تفاجئه بأن الأمر برمته خدعة، وأنها فعلت ما فعلته لأن هذا هو حقها الطبيعي الذي لم يفكر به طوال سنوات عيشهما معًا.

زهراء المنصور

لم يستسلم سوريانو لهذه اللعبة ويُهدّد فلومينا بإمكانية المحامي بتطليقهما بعد ثبوت حدوث هذه الخديعة. لكنها تكشف له في هذه الأثناء عن وجود ثلاثة أولاد «شباب» هم أبناءها واحد منهم هو من صلبه، وأن الغرض الأساس مما فعلته تسجيل الأبناء في السجلات الرسمية لكي يتمكنوا من ممارسة حياتهم بشكل طبيعي، بخلاف أن يكونوا مجهولي الوالدين وتنجح في إيقاظ حسّ الأبوة المسؤول فيه حتى يصرّ هو على إكمال الزواج الرسمي والعيش معًا كأسرة رغم عدم معرفته لإبنه الحقيقي.

### فلومينا بين السرد والدراما المسرحية والسينمائية

تحيل عتبة العنوان للمتلقي الانطباع الأول لما هو مقدم عليه من مادة مقروءة أو مرئية، وقد كتب هذا النص الكاتب الإيطالي إدواردو دي فيليبو في بيئة إيطالية صرفة، وضع فيها كل أدواته المحلية في التوافق بين منطق الشخصية ومُكوّنها الاجتماعي في تصنيف واضح، وعنونها باسم الشخصية الرئيسية «الأنثى» فيلومينا مارتورانو، وهي إشارة تقديم جيدة للدلالة على كونها محرك الحدث في النص/ العرض، وقدّم هذا العمل سينمائيا marriage Italian style في عام 1964 قام بتجسيد دور البطلة النجمة الإيطالية صوفيا لورين ومارسيلو ماسترويانى في دور دومينكو سوريانو(1).

ولعل النص الذي قام بترجمته أ.د.سلامة محمد سليمان خصيصا لتقديمه مسرحيا ضمن فعالية ثقافية مسرحية في جمهورية مصر العربية، قد أوحى للمؤلف بترجمة النص للغة العربية مع الكثير من اللهجة المصرية المحببة، من العنوان الذي تحـول إلى «جــوازة طلياني» ذات النطق بالخصوصية المصرية وأيضا فيما يتعلق ببعض المصطلحات التي تقع ضمن سياق كوميدي مثل: « قبل أن يأتي القسيس لعقد قراننا، كانا يعتقدان إنني أسلم الـروح وإني لا أراهما وإذا بهما يتعانقان ويتبادلان القبلات بجوار السرير..يا إلهي يالها من قذارة! لو كنت احتضر حقا أكنت تفعل هذا؟ ولكن صحيح ..أموت وهو يفرش المائدة له وللبت النايمة على روحها دي» (2).

وتكاد هذه التقاطعات ذات اللهجة المحلية تخرج من المترجم ومنها للعرض المسرحي في لحظات الغضب وانعدام السيطرة لكي تخرج بالشكل الكوميدي الموصوف مثل ما قالته فلومينا: «...أتعتقد أني بعد خمسة وعشرين عاما قضيتها كالغجر بجوارك كنت سأخرج من المولد بلا حمص» (3) وهي تقع في اعتقادي ضمن إشراك الجمهور في عملية التلقي بعيدا عن الانضباط المنفر –ربما– للغة العربية بالنسبة للجمهور العادي، أيضا النص والعرض المسرحي بدأ بعد اكتشاف دومنيكو سوريانو الخدعة وهو في أوج ثورته التي شكّ أن كلا من الطبيب والقسيس والخدم متآمرين مع فلومينا من أجل حيلة الزواج التي

انطلت عليه، فيما نعرف الأحداث التي جرت قبل الحدث على الخشبة، من خلال حوار الممثلين مع بعضهم، ويتبين أن كل العشرة الطويلة بين الاثنين لم تجد نفعا في تغيير الصورة التي رأى بها سوريانو فلومينا في بيت الدعارة لأول مرة، الكلمات التي قالها وهو غضب توضح نظرته لها: «..ولكن كان ينبغي أن أتوقع منك هذا! أمرأة مثلك فحسب يمكن أن تفعل ما فعلت!! لا تستطيعين التغلب على أصلك خمسة وعشرون سنة لم يتغير منك شيئا، ولكن لا تحسبي أنك قد كسبتي الجولة.. لم تكسبي الجولة! سأقتلك وأدفع ثمنك ثلاثة ملاليم.. امرأة مثلك لا تساوي أكثر من ثلاثة ملاليم..»(4)

ولا يبدو أن فلومينا الشخصية الأساسية المحركة للحدث في النص والعرض والفيلم أيضا، متأثرة بهذا الكلام التي ربما تدرك أنه كلام يقال في وقت غضب، أو ربما هي تعول على المكسب الأكبر فيما سيتحقق لاحقًا، فهي بالإضافة إلى شعورها المقهور لما أحست أن شريكها سينتقل رسميا إلى عش آخر، شعرت بغريزة الأنثى أنها الأحقّ بكل ما تعبت وسعت له بالإضافة إلى هدف سامي وهو إلحاق الأبناء بإسم سوريانو لإمكانية استخراج هويات تمكنهم من الاندماج مع المجتمع وتقديم أنفسهم وأيضا التعرف على بعضهم ووالدتهم التي تكفلت بمصاريفهم طول الوقت عن بعد وبغير علمهم.

النص بين المسرح والسينما.. هل يتغير مذاق النص في غير بيئته؟

حرص العرض المسرحي على ألا يخرج عن حدود النص المترجم، فظهر أن العرض أقرب لتنفيذ النصّ منه إلى ابتكار رؤية جديدة تثري الفكرة الأصلية أو تظهر بإمكانات المسرح ما يدعو للدهشة، وعدا الأداء المتمكن للممثلين سار العرض المسرحي بنفس المشاهد تقريبا الموصوفة بالنص المترجم، ورغم أداء يحيى الفخراني ودلال عبدالعزيز المتقن لشخصيات أجنبية (5) غير نابعة من البيئة المحلية، لكن من الصعب أن ينسى المتلقي –العربي– تاريخهما في أعمال أخرى، لذا من الوارد جدا أن يستقبل الشخصيات والحدث الإيطالي دون الفصل أن النجوم مصريين وأن الفخراني «يمثل» دور سوريانو اللعوب، وأن عبدالعزيز هي فلومينا التي بدأت العمل في بيت الدعارة مجبرة ومستسلمة لأوامر أهلها. بينما في الفيلم تظهر بكل التفصيلات الخاصة بالشخصية في الملابس المختارة، المكان، اللحظات الحميمة بينها وبين سوريانو، شرعية دفاع فلومينا عن حقها في شخصيتي صوفيا لورين التي تظهر في ثياب التسويق الملائمة لطبيعة عملها، بينما في العرض المسرحي يسمع المتلقي هذا الحدث ولا يراه على اعتبار أنه كان في الماضي وقبل الأحداث الجارية على الخشبة، حتى لا يقع في ورطة التجسيد غير المناسبة للظهور في المسرح العربي ولمشاهده.

كذلك في السرد هناك حس الراوي العليم الذي يوضح للقارئ تفاصيل قد لا تكون واضحة في الحدث العام، ويعرف بماضي الشخصيات والإشارات التي تجعل الفكرة كاملة عما كانت عليه وما آلت إليه أيضا، كما في الوصف الأول لبيت سوريانو ومن الجملة الأولى: «حجرة طعام فسيحة من طرز القرن العشرين، فاخرة الأثاث ولكن ينقصها الذوق الرفيع..» (6) في إشارة لأصول صاحب البيت ونشأته حيث يوضح لاحقا أنها جزء من متاع والده الذي لايزال يحتفظ به، رغم إدارة فلومينا للبيت وترتيباته وقتا طويلا.

كلا التجربتين مهمتين لأن الفيلم قدّم النص في بيئته وأجواءه وأيضا أفكاره المتحررة دونا عن أعراف وتقاليد البيئة الشرقية، مثل عمومية فكرة بيت الدعارة التي عرف سوريانو بفلومينا ببعضهما، امكانية العيش المشترك – وربما الانجاب– بغير الإطار الرسمي بلا أدنى صعوبة، بعض اللقطات الحميمة بينهما والتي لا يمكن عرضها بطبيعة الحال على خشبة مسرح في بلاد عربية، بالإضافة إلى فكرة العرض التي مهما قدمت بلهجة محلية وكوميديا تتوافق ومزاج أهل البلد، ستبدو مثل النصوص العالمية المعروفة التي تقدم للفرجة والمتعة حتى لو لم يتسق مضمون رسالة العرض مع البيئة التي يعرض فيها.

---

المراجع:

https://www.youtube.com/watch?v=R3T8G1Jm4Dg marriage Italian style

جوازة طلياني (فلومينا مارتورانا)، إداوردو دي فيليبو، ترجمة أ.د. سلامة محمد سليمان، كتاب القومي، مركز المحروسة للنشر والخدمات، ص 32

نفس المصدر السابق، ص 33

نفس المصدر السابق ص 24

https://www.youtube.com/watch?v=dNNLWks5ty0

جوازة طلياني، مرجع سبق ذكره، ص 19

ص 34

تعديل العنوان ليصبح:

بيير لوري المختص في الدراسات الإسلامية:

رخاء الروح هو ما يجعل الإنسان إنساناً

وإضافة العبارة التالية بعد العنوان: حاورته: سوسن حسن

بيير لوري المختص في الدراسات الإسلامية:

# فلسطين قادتني نحو اللغة العربية

**حاورته: سوسن حسن**

استللت الكتاب من مكانه، وحدّقت طويلاً في العنوان: «كرامة الانسان بالنسبة للحيوان، للملائكة والجن»، لأبدي استغرابي مما قد يحمل من محتوى. كان الكتاب مركوناً في إحدى مكتبات باريس الشهيرة، وسرعان ما التفت اليّ أحد عامليها ليقول: «هذا كتاب بيير لوري، الكاتب والأكاديمي المختص في علم الإسلام». لم يكن الاسم غريبًا عليّ لأنني أعرف بيير لوري من حلقاته الحوارية عن الصوفية وكتبه: «تدبير الإكسير الأعظم»، «من تاريخ الهرمسية والصوفية في الإسلام»، « تعبير الرؤية في الإسلام»، و«علم الحروف في الإسلام»، ملحقين بترجمتها العربية التي نعثر عليها في مصر ولبنان بسهولة وفق حدسي.
حملت الكتاب في يدي، لأكمل باقي الجولة في المكتبة، ويالدهشتي عندما رأيته أمام الباب! لم يوجه عيناه بموازاة عيني، فقد كان منشغلاً بالبحث عن كتاب ما. ضحكت لفرط الصدفة، وقررت الاقتراب للحديث معه. دار بيننا حوار وأعطاني بريده الالكتروني، فما كان مني إلا أن أراسله لأطلب هذا الحوار .

بروفيسور بيير لوري مع الكاتبة سوسن حسن

**بروفيسور بيير لوري، أنت مستشرق فرنسي، أكاديمي في المدرسة التطبيقية للدراسات العليا في باريس، المختصة في علوم الحياة والأرض والفلسفة والدراسات الدينية. لك إصدارات عديدة في الصوفية، مثل «تأويلات القرآن وفق عبدالرزاق الكاشاني»، «دراسة مجموعة مصنفات في الخيمياء والاكسير الأعظم لجابر بن حيان»، وغيرها من الكتب. هل بالإمكان أن تخبر القراء عن سبب الاهتمام بالإسلام و الصوفية؟**

**لقد جاء هذا الاهتمام من السبعينات، حيث كنت أدرس اللغة العربية في باريس، لتسنح لي فرصة الذهاب في بعثة إلى بيروت ودمشق. في ذلك الوقت، كان الوضع السياسي متأزماً، ولكنني لم آبه كثيراً لوقوعي في حب الأدب و الشعر العربي القديم. أثارت اهتمامي الصوفية وشخص المتصوف الذي يرى الدين كتجربة بحث عن الله على الأرض، فوجدت نفسي أقرأ تأويلات القرآن الصوفية. رأيت نفسي أمام كتاب آخر، والحقيقة أنني كتبت أطروحة الماجستير حول تأويلات القرآن وفق عبدالرزاق الكاشاني الذي يفسر القرآن كقصة روح في طريقها نحو الله. عند توقفنا على سبيل المثال عند قصة نبي الله موسى مع الفرعون، نجد بأنها تروي الروح التي تواجه الصعوبات لتتطهر. كل هذا للتأكيد بأن قراءة أخرى للقرآن قد تعطي الدين رؤية مختلفة.**

**■ لقد قلت في البداية بأنك كنت تدرس العربية. لماذا وقع الاختيار على هذه اللغة؟**
**ـ فلسطين. حدث كل ذلك إبان الثورة الطلابية في مايو1968، حيث الجميع معني بالقضية الفلسطينية، لذلك قررت تعلم اللغة العربية لأفهم ما يحدث أكثر.**

**■ لقد كتبت حديثاً «كرامة الانسان بالنسبة للحيوان، للملائكة والجن»، هل بوسعك تقديم هذا الكتاب؟**
**ـ التساؤل الذي وجهته لنفسي قبل الشروع في كتابة هذا الكتاب يدور حول الفكر الإسلامي القديم، الذي يطرح هذا السؤال : ما هو الانسان ؟ ما الذي يساهم في تعريفه ؟ عندما نقرأ القرآن على سبيل المثال، نعي بأن الحيوانات مخلوقات ذكية، لها لغة خاصة بها، قانون وشريعة، ليس ذلك فحسب، بل هي تصلي، وتسبح الله. يمكن القول في هذه الحالة بأن الحيوانات أكثر تقوى من الإنسان، فهي لا تقترف الكثير من الذنوب مقارنة به. منذ الوجود، منذ آدم و حواء، والإنسان يراكم الأخطاء. هناك ما يستحق البحث.**

**■ ما المنهج الذي اتبعته في كتابة هذا الكتاب؟**
**ـ انتقاء ما يقوله تفسير القرآن المتعارف عليه عن الانسان، الحيوانات، والملائكة. تجدون في الكتاب تفسير الطبري والرازي، ولكن أيضاً التأويلات الصوفية للقرآن.**

**■ نلاحظ في كتابك أنك تفرق بين حيوانات زمن النبوة وحيوانات الوقت الحاضر. هل هنالك حقاً فرق؟**

**ـ يتخذ القرآن من الحيوان مثالاً للإنسان. نجد على سبيل المثال حيوانات استثنائية مثل النمل الذي يُحدّث سليمان، والذي يفهم هذا الآخر لغتهم و لكن لا يحدثهم. حيوانات وقتنا هذا تسبح الله مثلاً، اذ تعتبر نفسها جزء من الخريطة الإلهية.**

**■ ما علاقة الانسان بالملائكة ؟ ولمن تعود الأفضلية؟**
**ـ هنالك فعلاً جدل في علم الكلام حول من هو أكثر أفضلية أو تفوقاً، الإنسان أم الملاك. ان جئنا للملائكة، نجدها أكثر طاعة وتقوى، وإن جئنا للبشر، نجد بعضهم و ليس كلهم، من يتمتع بقدر عالٍ من القداسة، فيقاسون في ذات الوقت ثقل المادة، أي ثقل الأرض، فهم بذلك يبذلون جهداً أكبر من الملائكة في الصلاة. يتفق أكثر علماء اللاهوت على شيء، وهو أن الأنبياء والقديسين والأولياء متفوقين على الملائكة. إن رجعنا للقرآن، نجد في كل الأحوال ما يكفي للحديث عن علاقة الملائكة بالإنسان. الملائكة تعتني بهذا الأخير وترافقه، تخدمه وتتوسط لأجله.**

**■ تتحدث كثيراً في «قرآن المؤرخين» الصادر حديثاً تحت إشراف الأستاذ محمد علي أمير معزي عن أثر المسيحية الشرقية السيريانية، الرحبانية كذلك، على الروحانية الإسلامية. هل نجد برأيك ذات الرؤية حول الإنسان في كلاهما؟**
**ـ ما يميز «قرآن المؤرخين»، هو السعي في إظهار بأن المسألة ليست مسألة تأثير، وإنما تذكير القارئ بأن الاسلام ولد في الشرق، حيث الرحبانية والمسيحية موجودتان. لا نستطيع إقامة عوازل بينهما. لقد قام المفكرون المسلمون شيئاً فشيئا بتطوير نظريات خاصة بالإسلام بالأخذ من هنا أو هناك، وفقاً لمصالحهم.**

■ نرى لدى الصوفيين رغبة في وصف المخلوقات، وإنشاء طقس كوني. هل هي طريقة للتدليل على وجود الله من خلال الكون، على حد وصف عالم اللاهوت المسيحي Urs Von Balthasar مع احترام جلال الله الذي لا يمكن وصفه؟

ـمن المؤكد بأن الاستشهاد بالحيوانات في القرآن يدخل في نطاق العقيدة والحكمة. الكون بما فيه من مخلوقات يطيع الله، وهي رسالة للإنسان ودعوة للطاعة كذلك. البشر هم الفصيلة الوحيدة القادرة على العصيان، والكون بالنسبة له لا يملك رسالة الهية.

■ نلاحظ في العالم الإسلامي رغبة في تطوير قراءة انثروبولوجية للقرآن ضد الخطاب السياسي والديني القائم. تحضرني دراسات كونستانس أرمنجون حول الفيلسوف مجتهد شبستري. هل للصوفية ورؤيتها للإنسان دور في إبراز هذا العمل الفلسفي؟

ـ نعم. نستشف ذلك لدى ابن عربي على سبيل المثال، الذي يرى آدم إنساناً وخليفة: «إنساناً لعموم نشأته وحصره الحقائق كلها، فهو للحق بمنزلة إنسان العين من العين الذي يكون به النظر، وهو المعبر بالبصر. فلهذا سمي إنساناً ، فإنه به ينظر الحق الذي خلقه فيرحمهم، فهو الإنسان الحادث الأزلي، والنشئ الدائم الأبدي، والكلمة الفاصلة، الجامعة قيام العالم بوجوده، فهو من العالم كفص الخاتم من الخاتم». نجد اذاً في الصوفية إعادة تقديس للإنسان أكثر وضوحاً. كل العالم نشأ بقصد من الله، وكل الطبيعة مسخرة له، و لنا أن نذهل ونمجد مثلما كان يفعل جلال الدين الرومي. يجب علينا احترام الطبيعة، بإن أن نراها وجهاً من وجوه الله.

حين نرغب في أن نعود لأصول الانسان، تلزم العودة الى الطبيعة ...

نعم وهذه فكرة كتابي. ما يجعل الانسان إنساناً هو رخاء وازدهار الروح بالمعنى الصوفي. ماذا عن غير الصوفيين وغير المسلمين اذاً؟ هنالك علم جديد يطلق عليه لاهوت الأديان، يجمع بين رؤية جميع الأديان في أنها طريق نحو الحقيقة. عندما نقرأ فلسفة مجتهد شبستري، نعي بأن ذلك المشروع ممكن.

*كان هذا حواري مع بيير لوري. الذي وددت لو أنه يعمل في مجالنا الجغرافي، لنحطّ على شرق أوسط أكثر وعياً بإنسانيته. ان أثاركم الفضول حول شخص لوري، يكفي كتابة اسمه في محرك البحث «غوغو»ل أو على قناة اليوتيوب للعثور على إصداراته ، والاستماع الى محاضراته.*

# نضجٌ حاد.. أم استسلام هش؟

بتول حميد

ثمة بشر يختارون المُبهج من تلاوين الحياة، ويتحركون وفق قياس الخسائر لا وفق اتجاهات بوصلة القيّم الإنسانية والمبادئ. يقرون بقرب الإنسانية لأرواحهم المعجونة بالشعور والتصاقها بالعروق الآدمية ولا ينكرون بأن المرء خُلق بذهن يلوك فيه الأفكار وبقلب تمرّ فيه الأفكار ذاتها، فقد يبكي لفرط حسه آلام من لا يعرفه وإنْ كان شخصية خيالية في روايًة أدبية أو بطل حادثة تاريخية أو أسطورة، ولكنهم يفضلون أن يكون هذا النوع من التفكير إلى جانب الترف وأن تكون هذه الفضيلة النفيسة موصدة في جوهر الروح، بل محشورة في ذهن موصد بدلا من أن تكون ملكّة تصدر اهتزازا للحياة.

فيما يدفع آخرون حيواتهم ثمناً للعيش بكرامة وحرية، فماذا إن تحقق لهم أن يعيشوا وفق نظام يكفل لهم حقوقهم ويمنحهم حرية الاختيار، من دون أن يفقدوا الحياة ويعيشوها بكثافة مخففة؟ –كأن يتخلوا عن مشاعرهم مثلاً– خصوصاً أنه في تلك الحياة الجديدة، لا مكان للمشاعر السلبية، فهل يبلغون مبتغاهم في العيش بحرية وكرامة؟

تطرح رواية «استسلام» للكاتب الإسباني راي لوريغا، هذه المساورة بصورة أكثر تعقيدًا. إذ تدور أحداث الرواية، حول رجل يعيش مع زوجته وحيدين في منزلهما الكبير، بعدما ذهب أبناؤهما إلى الحرب، في ظل نظام بوليسي يشكك في وطنيتهم بدعوى تعاونهم مع الأعداء ضد بلادهم التي تخوض حربًا منذ 10 سنوات. وبسبب خسارة النظام لتلك الحرب، فإن الراوي يضطرّ إلى الإجلاء بصحبة زوجته و»خوليو» الصغير الذي وجداه في الغابة، إلى ملاذ آمن شيّدته الحكومة وأطلقت عليه اسم «المدينة الشفافة» لحماية المواطنين من «بطش» ذلك العدو.

وعلى الرغم من أن هذه المدينة الغرائبية التي شيّدت بأسرها من الزجاج الشفاف، قد تبدو مثالية، فإن ذلك الرجل يجد نفسه وقد جرّد من كل ما يملك: دفء مشاعره و حبّ زوجته وحنين ذكرياته وحتى الصغير الذي تبناه، وبدلًا من المقاومة يجد نفسه مستسلماً تماماً للتأقلم مع واقعه الجديد. حتى عندما يستعيد وعيه الحاد، فإنه لا يقوى إلا على الاستسلام في مواجهة حراس المدينة الذين يبرحونه ضربًا يدخل على إثره في غيبوبة، ليكتشف القارئ فيما بعد أن الرواي كان يقصّ حكايته تلك على ابنه بالتبني "خوليو"، أثناء فترة غيابه عن الوعي. وهنا ينحني السرد، في الثلث الأخير من الرواية ليتخذ تحولًا جوهرياً، إذ يوحي بأن الراوي ربما يعاني مرضًا نفسيًا هو الذي جعله يتخيّل كل تلك الأحداث. لكن الكاتب الإسباني لا يضع في روايته ما يؤكد أياً من الفرضيتين. فكل الإشارات الموجودة في السرد قد تؤكدهما وتنفيهما في ذات الوقت!

لذلك تقبل معطيات الرواية تفسيرات عديدة لأحداثها، وتتفق في تأثير للاستبداد بصوره في التشكيل الجوانيّ للإنسان. فالسرد الغارق في حبكته المدهشة يضع القارئ أمام احتمالي أن يكون واقع الرواية حقيقياً أو من نسج خيال الراوي الذي قد يعاني مرض الفصام. وسواء أكانت أحداث الرواية جزء أساسي من سيرته الذاتية أم من تأليفه فإنها ترسم في الحالتين صورة جلية ليس لما تفعله الأنظمة المستبدة بشعوبها فحسب؛ وإنما أيضًا لما قد يمارسه المقموعون على بعضهم البعض، وهي صورة لا تغيب عن خلفيتها ممارسات ما يمكن تسميته بـ"العالم الحر" تجاه ضحايا ذلك الاستبداد، من نمط يتجاوز شكله المجازي إلى آخر مادي يتمثل في حجزهم داخل مستعمرة عارية وباردة ومعزولة يبقون رهائنها بوصفهم – كائنات أقل – لا يمكنهم التماهي بأي شكل في بلاد حرة بسقف أزرق لا حدّ له.

# ما هـي التفـــاهـــة؟!

لا بدّ أن يوحي الحديث عن هذا الموضوع بأن المتحدّث شخصٌ متعالٍ. وأنّه من منصّته يطلقُ الأحكام على الآخرين. حسنًا.. إنّ هذا التعالي ضروريٌّ، بمعنى محاولة الارتفاع فوق الموضوع، وليس بمعنى الغرور. وقد تتمّ المجادلة بأنّه لا وجود لما هو تافه لأن الأمر نسبيٌّ ويختلف تقديرهُ من شخصٍ لآخر، بهذا المعنى لا وجود لشيءٍ تافه؟
وإن كانت التفاهة موجودة فمن يحدّدها ويضع معاييرها؟. فإن كنّا نحاول الارتفاع فوق التفاهة، فيبدو لزامًا علينا أن نفهم أولاً، ما تعنيه التفاهة وما الذي لا تعنيه.

أحمد رضي

في اللغة العربيّة يقال: «تفه الطعام» أي إذا كان خاليًا من النكهة والمذاق، ويقال ولدٌ تافه أي أحمق، وكما يذكر «إيريك فروم» في كتابه «فن الوجود» فإنّ كلمة((TRIVIAL))، تعني حرفيًا باللاتينية "المكان العام"، وهي تشيرُ إلى الضحالة والرتابة ونقص الأخلاق، ويمكن تعريفها أيضًا بالاهتمام بظواهر الأمور دون بواطنها، وهي أيضًا تعني عدم القدرة على التمييز بين ما هو أصيل وما هو مزيّف، ويمكن أن تعني التضخُّم النرجسي، والافتقار للغاية والمعنى.

هذا ما يعنيه الشيء التافه، وأما ما لا يعنيه، فهي مفاهيم من مثل: البراءة، البساطة، تقضية الأعمال الدنيويّة الضروريّة، الثقافة أو الأميّة. فيمكن أن نجد ربّة منزل أميّة حكيمة ووازنة. ويمكن أن نجد أستاذًا جامعيًا تافهًا. فالثقافة لا علاقة لها دائمًا بتحديد التفاهة الشخصيّة. وعلى هذا، لن يتمّ تحديد أيٍّ من المجتمعات تافهة أو ليست تافهة بناءً على معيار الثقافة. أي كلّما ابتعدت عن الثقافة الأوربيّة أو اقتربت منها. إذا اتفقنا على التعريفات السابقة، يمكننا أن نُقيّم ما هو التافه وما هو ليس كذلك من حيث:

النرجسيّة: إن من يتحدّث عن نفسه، لأجل أن يتحدّث عن نفسه، فهذا تافه.

السطحيّة: إن من تتمحور حياته وأحاديثه حول الأمور المعيشيه الاستهلاكيّة اليوميّة، وأخبار القيل والقال، والأحداث اليوميّة التي قام بها دون أن تحوي أيّ معنى يضيف للمستمع، فهذا حديث تافه.

المزيّف: هو العمل المقلّد والمجتر والمكرر.

نقص الأخلاق: إنّ من يمتحور سلوكه حول مصالحه الخاصّة، وليست لديه معايير أخلاقيّة (نتفق أو نختلف معها)، فهذا شخصٌ تافه.

لكنّ من يحدّد من هو تافه ومن هو غير ذلك، من يملك هذه السلطة؟

الجواب: الجميع ولا أحد. فأن نعرّف الكذب بأنه عدم قول الحقيقة أو عدم مطابقته للواقع عمدًا، فإن هذا التعريف سيعطي سلطة لمن يستطيع اكتشاف الكذب فقط، أي الجميع ابتداءًا، بأن يصف من يكذب بالكاذب. وسيتم تقييدها لمن هو غير قادر على اكتشاف الكذب. إن التفاهة ليستْ مجرّد شتيمة. وإنما هي واقع موضوعي أيضًا.

والحديثُ عنها ضروريٌّ، كي نستطيع أن نرتفع فوقها، ولو قليلاً.. خصوصًا مع الإرهاب العكسي الذي يحدث حاليًا، ففي حين كانت النخبة تمارس إرهابها سابقًا، لتحدّد ما هو القيّم وما هو التافه، وهي قطعًا أحكامٌ قابله للمناقشة والخطأ. أصبح الآن من التابو أن تحاول التقييم، بهذا المعنى يتم استبدال النقد الأدبي بالنقد الثقافي، ويتم اعتبار النص أو العمل الفني لا يحوي أي قيمة في حد ذاته سوى للمتلقي الذي يشبه المستهلك والذي لا يزيد رأيه عن كلمات مثل أعجبني أو لم يعجبني. ويتم انتاج الأغاني المتوسطة كلمات ولحنًا وأداءًا، لأن شركات الإنتاج لا تودّ انتاج شيء مبتذل لا يمكن تسويقه ولا يمكنها أن تغامر بانتاج ابداع مفارق يتم المجازفة فيه بالخسارة. التوسّط في كل شيء، هو عُنوان المَرحلة حيث يعاد انتاج التفاهة وفق نظام "سيستم" لا يمكن الفكاك منه بسهولة. وهو ما لفت الانتباه إليه، الفيلسوف الكندي"آلان دونو" في كتابه "نظام التفاهة" والذي صدر مؤخرًا عن دار سؤال وقامت بترجمته الدكتورة مشاعل الهاجري.

فلم تعد التفاهة مسألة خيار شخصي أو مجرّد صفة في شخص ما، إنها نظام "سيستم". يجلعنا مجبرين على أن نكون تافهين، أو في أقل تقدير.. أن نكبح جماح إبداعنا.

سأقرأ الكتاب، ليس من أجل اكتشاف من هو التافه. ولكن لأعرف لماذا نقع في التفاهة. ولماذا لا نستطيع تجنّب أن نكون تافهين؟ وكيف يمكن أن نتحرّر فرديًا من هذا النظام؟ إنّ التافه، هو محطّ ثقة من الآخرين، لأنّه أسهلُ انقيادًا. وقد تقترن التفاهة بالبراءة ـ وهما أمران مختلفان تمامًا.

أحيانًا نرغب في أن نكون تافهين، لأننا كنّا نرغب بأن نكون أبرياء. فاختلطتْ علينا الطّرق، لطالما كان التافهون موجودين، بل وربما كانوا أكثر عددًا في المجتمعات السابقة. ولكن المسألة أصبحتْ ظاهرة، من حيث قدرتهم على الترقي الوظيفي والوصول إلى السلطة. ومن حيث أن التفاهة أصبحتْ بمثابة نشيد وطني، إنه أمر يتمّ التغني به كما لو كان فضيلة أخلاقية.

وذلك بسبب فهمٍ خاطىء لمعنى المساواة والديموقراطيّة.

ألبرتو مورافيا في «السأم»

# حين تفعل الحياة فعلها في البشر

سيسيليا تلك البنت اللعوب في رواية «السأم» لألبرتو مورافيا الكاتب الإيطالي المبدع حيّرت عقل الراوي في إمكانية التقاط تلك الطفلة في هيئة بنت راشدة ليعيش الراوي حياة مضطربة تنهي حياته الواقعية ليستقر في وعيه حلم عالم آخر مصنوع في خياله ولكن في ذلك الحب الجارف الذي لا يعرف له مستقر على الرغم من معرفته بخيانات حبيبته، ولكن يظل على أمل أن يلتقط واقع حياة تلك المراهقة ليرسم بذلك خطًا فى القصّ الروائي ليبدأ مشوار البحث عن الواقعي من غير الواقعي ليلتبس عليك الفهم مما يريد الراوي أن يوصله إليك من معلومة تظل أنت حائرًا في معرفتها لتصل إلى نتيجة مراوغة من أنه يعمل معك لعبة سمجة في أن تصل إلى حقيقة ملتبسة حول معنى التفكير لدى البشر واختلافه من شخص لآخر، ومدى إمكانية فهم الفروقات بين ما نعتقد أنه الفهم العميق للحياة وبين بساطة التفكير البعيد عن الرياء والكذب الذي يتصف به بعض البشر، لتصل إلى نتيجة منطقية بأنه ليس المال من يُحرّك عواطف البشر كما كان يعتقد الراوي وإنما العواطف رغم ملامسة ذلك للمال الذي لا يخلو بطبيعة الحال من أهمية لمواصلة الحياة .

حميد الملا

فسيسليا تلك الفتاة الرائعة والمشوقة القوام تركل كل تلك الثروة التي كانت قاب قوسين أو أدني من أن تهبط عليها من السماء لتعيش مع عشيق آخر هي من تصرف عليه من مال العشيق الأول. إنها لمفارقة ان يعيش إنسان بقلبين ولكن في الحياة الواقعية بالإمكان تصور ذلك كما صوره مورافيا في رواية السأم ويعيش الراوي فى دوامة لا تنتهي من محاولة الامتلاك للمحبوبة (سيسيليا) وعدم إمكانية ذلك لا بالمال ولا بالعيش الرغيد لينتهي به المطاف الى شبه الجنون.

تلعب المراهقة فسيسليا بمشاعر العديد من العشاق دون مبالاة، تضع حدًا لكبرياء عشاقها رغم فقرها وغناهم ومركزهم الاجتماعي لتضعهم أمام واقع هي من يتحكم فيه ويسيطر به على احساسهم وتوجهاتهم وأقدارهم بل وبكامل حياتهم. فهل لنا أن نتخيل طفلة لم يتعدَ عمرها السابعة عشرة تلعب هذا الدور الخطير لرجال في عمر أبيها بل أكبر من ذلك؟

ولكن هي الحياة تفعل فعلها في البشر وهذا ما يحدث فعلًا في الواقع العملي ولكن الفرق في أن مورافيا أراد بذلك أن يحلّ مشكلته مع السأم فى الحب غير المتكافئ في رجل هو من الغنى والمكانة المجتمعية وبين مراهقة فقيرة غير مبالية إلا برغباتها الجنسية دونما اعتبار لا للمركز ولا للمال ولا للمجتمع الذي تعيش فيه. فهل كان مورافيا محقًا في تصويره ذلك الواقع لحياة سيسيليا بل لواقع حياته معها في ظل علاقتها مع شخص أخر على معرفة به، وأرادت بذلك أن تحتفظ بالاثنين معًا، وهل في ذلك مبالغة في إمكانية محب أن يحتفظ بعلاقة مع حبيبة يعرف مسبقًا بأنها أيضًا على علاقة مع شخص آخر ويظل في حالة اشتهاء دومًا على الرغم من تلك المعرفة. أمر مُحيّر فعلا ولكن للراوي رأيًا آخر، فالسأم الذي يعيشه وصل به إلى أن يلتمس من هذا الحب أملًا في شفاءه.

غراميات مورافيا لاتنتهي عند حدود العلاقة العاطفية بل تتعداها إلى سبر أغوار النفس البشرية، فالتصرفات والحركات والملبس والمتطلبات كلها حاضرة لتكمل بعضها بعضًا، ومن ثم تكتمل الصورة بتصرف تلك الشخوص في الواقع العملي المألوف وغير المألوف.

جميع تلك الأحداث شيّدها المؤلف بدقة المهندس الخبير في الفن الروائي في أدق التفاصيل اللازمة لصناعة رواية مشوقة تحيلك إلى واقع غير اعتيادي يعيشه بطل الرواية (دينو) مع محبوبته اللعوب (سيسيليا). كأن مورافيا، ذلك الروائي الفذ، شاهد عيان على تلك الأحداث المسطرة في روايته، وكأنما بقيت مخيلته تتقد بكل ما عبّر عنه من أحداث استطاع بها أن يخلق دواخل شخوصه وتفكيرهم وأحاسيسهم وهمومهم من خلال استدراج كل شخصية من هذه الشخصيات وإحالتها إلى الواقع.

فبطل الرواية (ديتو) ظل طوال تلك الأحداث فريسة تفاعلات روحية متعددة ومتناقضة ظنَّ بأن ما يقوم به شبيهًا بالحب المقدس، وإذا به ينساق للعبة تلك المراهقة بلا نهاية. كان في قرارة نفسه يعتقد بأن المحب والمحبوب يريدان الشئ نفسه وبذلك حاول مرارًا وتكرارًا المضي قدمًا في الرغبة القوية للامتلاك دون جدوى، متصورًا أن بإمكانه أن يُخلّص تك الفتاة من سلطان الحب للآخرين.

وضع ألبرتو مورافيا في روايته هذه سيناريو من الغرابة بمكان حينما صوّر تلك الفتاة اللعوب بأنها كانت تذهب لحبيبها (لوسيانو) بدافع الحب بينما تذهب مع (دينو) بدافع المال لتحل مشكلتيهما حلًا نهائيًا، مشكلة حضور رجلين في حياتها بصورة مزدوجة كما يقول الكاتب.

فهل يا ترى بالإمكان التوصل لمثل هذه الوقائع في الحياة العملية؟

لم لا؟ فالإنسان بطبعه غريب الأطوار أحيانًا، وباستطاعته التكيّف مع مثل هذه الوقائع كما صوّرها مورافيا في روايته.

وجيهة رضي

## الصمت أداة الكلام

جالت ببصرها في أنحاء القاعة، توقفت لتعرف مسارها، كانت يمنيها تلف عباءتها التي مالت بغير وعي منها على جانب. حاولت ان تثبتها على رأسها، لكنها تنبهت إلى أنها ربما تكون نسيت أوراق مهمة فنظرت لتلك الحقيبة في يدها اليسرى. ضغطت عليها بيدها، وقالت في سرها: لم انسَ شيئا، وثيقة الزواج ومحاضر الجلسات السابقة.

ومـاذا ايضاً.. توقفت انتبهت.. إنها تحدث نفسها، جالت بنظرة تائهة إلى النسوة الجالسات، اختلفت وتشابهت ملامحهن، نقلت نظرتها نحو المتزاحمات حول باب المحكمة، من بين دقات قلبها المتوجع حكت لهن حكاية ألمها المستمر، الصمت هو أداة الكلام بينها وبينهن .. ارتفعت وجوههن التي كساها الوجوم والشحوب .. ردّوا عليها. ارتفع ضجيج كل واحـدة تقاطع الاخـرى، تشابهت واختلفت حكاياتهن، انساب أنـين من الألم غطاها، شعرت بالاختناق فجأة ومسحت دمعة كادت أن تفضح بركان العذاب في داخلها. مسحتها بسرعة بطرف يدها، لكنها وفي لمحة منها شعرت بخشونة ملمسها فـرددت؛ نسيتُ رشة من العطر أيضًا، نسيت مفتاح الباب الخارجي، لا أدري هل أقفلت الفرن .. غداً موعد ابني للتطعيم، واعتقد أنه اقترب اليوم المفتوح لابنتي .. تهالكت خواطرها.. توقف اللهاث ضغطت على حقيبتها، اخـذت تعدّ اوراق محاضر الجلسات، سبع جلسات أطلب الطلاق وهذه الجلسة الثامنه، هي الثامنه ..

جلبة وصراخ وبكاء أوقف قطار أفكارها المندفع. نظرت إلى باب القاعة الذي فُتح على امـرأة تبكي وتصرخ لأنها لم تحصل على الطلاق..

دقّ قلبها بشدة، وهزّ صوت جال هديره في المكان ... ثمان جلسات

أما آن الخلاص ؟! ماذا بقى من زمني في الحياة لأنتظر.

وعند باب المحكمة الخارجي كان جسدها يتواهى مستنداً على الجدار في انتظار الجلسة القادمة.

# إلى سادن الجنة

شعر
سالمةالصالحي*

الكاهنة الأولى...
أرشدتني اليك..
أعطتني مسارات التوغل..
إلى جنتك البعيدة...
وحرير الوصول ...
عبر ممرّ النخل...
ودروب اللؤلؤ...
سواحل الترصّد...
تأتي بسفنٍ مشرعة...
وأنا لا بحر معي...
هناك...
تحتمي قلاعك...بالعصافير...والمطر..
تنتمي جنتك للبياض...
والماء.
تمّ نورك فاهتديت..
وواصلتُ المسير...
حتى أن وردتي التي سقطت...
عند عاصفة عطرك البعيد...
نمت تحت عبائتي ...غابة وله.
وحدائق مسرّات...
فحضرتْ كل الملائكة والشياطين...
وباركت مجد ميلادك العتيد...
ومثل لصوص نبلاء ..
تسطو الحكاية القديمة
على مخدعي...
وتقضّ بأسنانها
طفلي الكبير ...
هل كان حلمًا مارأيت..
أستيقظ عند صباح المدينة...
رمادًا وأغنيات...

* شاعرة من العراق

# مُقدِّمةٌ لخَلقِ الأشيَاء

شعر
جعفر الديري

أنا ما أزال أضيء في المعنىْ
جبينِيَ واحةٌ
وصدايَ أشجارٌ..
وظِلَّيَ جُلَّنارْ.
لم أدَّخر شيئا..
من الكلماتِ أنثُرُهنَّ..
كالملحِ المؤجِّجِ زهرةَ الذكرىْ
تفِيءُ إليَّ في كفيَّ..
أنفاس الذين تزمَّلُوا بالشمسِ
أطفالا .. نساءً .. أو رجالْ
وجهِيْ ستعرفهُ هنا
في الشاهد المصلوبِ في وضَح النهارْ
في خُصلةِ الشاهينِ..
تحتَ سنابك الخيل الموسوَّمة الكِبارْ
خلف ارتعاشةِ تلكُم الأهدابْ
فيما قصَّهُ نهرُ العذابْ
أرميْ بصدريَ في ثقوبِ اللحظة الأُولىْ
وأوقِد ها هُنا وجعَين تحتَ النارْ
أنا ما أزالُ أخِيطُ ثوبَ عُروشكُمْ
أصلابُكُمْ
أرحَامُكُمْ
أمتعةَ الذين تقمَّصُوا وجه الطبيعةِ
في بُكاءِ الليلِ
فيْ ضحكِ اليتامىْ بين دندنةِ السِوارْ
أنا في عروق الصاعدين
نبوءةٌ من زهرة
تتصفحُ الغادين..
تحتَ النجمِ أو فوق الدخَانْ
والوقتُ يالَلوقتِ..
لو يدري..
متى يسخو جبينيْ تشبح الأحلامْ.

# واحة الفكر

## (رأس المال): قذيفة طائشة على رؤوس البورجوازية

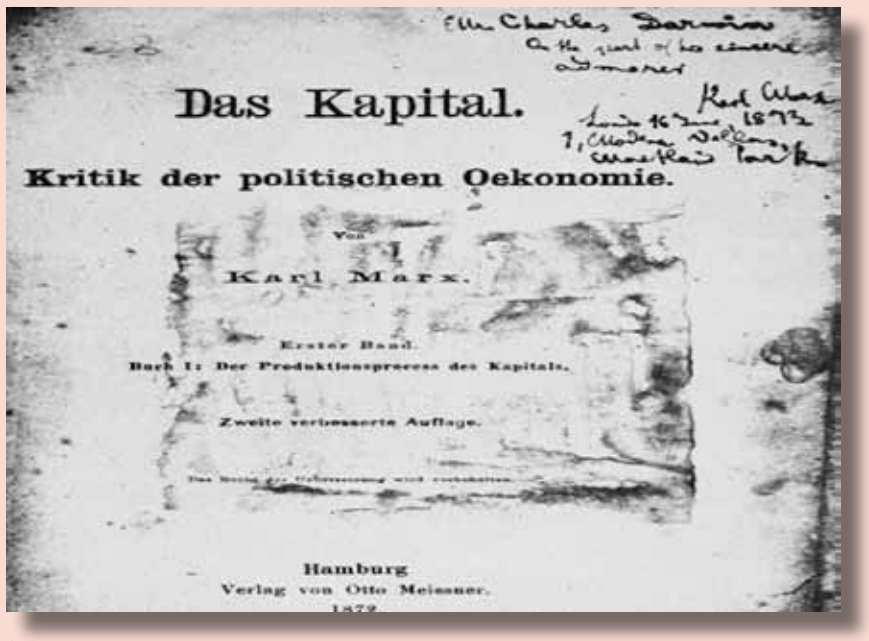


هشام عقيل

قبل عدة أشهر من صدور الطبعة الأولى من المجلد الأول لكتاب (رأس المال)، قال ماركس ليوهان بيكر بأن كتابه هو: "بلا أي منازع أقسى قذيفة ستسقط على رؤوس البورجوازية (مُلاك الأراضي ضمنهم)". هذا كان في إبريل 1867، وصدر الكتاب في سبتمبر من مثل العام. بعدها ذهل ماركس من الصمت الذي حام حول كتابه الضخم، ويقال بأن هذه الحقيقة دفعته نحو الكآبة. مهما كانت توقعات ماركس الشخصية، فإن زوجته هي من اكتشفت بأن الصراع ضد أطروحات (رأس المال) لا تقابل بحرب (بما إن كلمة "قذيفة" توحي بحالة حرب) بل بصمت كامل، فتقول لكوغيلمان في رسالة (يرجع تاريخها إلى 24 ديسمبر 1867، ايّ بعد ثلاثة أشهر على اصدار الكتاب): «يبدو بأن الطريقة المفضلة التي يحتفي بها الألمان بهذا الكتاب هي الصمت الكلي».

هكذا، اخذ انغلز على عاتقه أن يقوم بمهمة افتعال الاهتمام بهذا الكتاب، وذلك عبر كتابة مجموع من مقالات باسم مستعار كمراجعة لـ (رأس المال)؛ وتختلف هذه المراجعات من ثناء إلى هجاء، أو حتى هجوم على الفكر الإشتراكي الذي يمثله ماركس. قام انغلز بهذه المهمة لوحده، رغم أنه دعا الكثيرين لأن يقوموا بذلك إلا أنهم إما لم يكونوا أكفاء وإما لم يفهموا الكتاب، فمثلاً يكتب انغلز إلى كوغيلمان في 8 و20 نوفمبر 1867:

"لا تزال الصحافة الألمانية تتجاهل كتاب (رأس المال)، ولا بد أن نقول شيئاً. (...) من المهم أن نتحدث عن الكتاب مراراً وتكراراً وبأي طريقة ممكنة. فأنت تعلم بأن ماركس لا يَعوّل عليه في هذه الأمور، حيث إنه خجول كطفلة صغيرة؛ ففي النهاية، هذه المهمة تقع علينا (...) الاقتصاديون المبتذلون اذكياء بما فيه الكفاية بأن يعبروا عن احترامهم للكتاب وتفادي الحديث عنه متى سنحت لهم الفرصة. ولكن الحديث عن الكتاب: هذا تماماً ما يجب علينا أن نقوم به! إذا تمت مراجعة الكتاب في 15 أو 20 صحيفة في وقت واحد – ولا يهمني إذا كانت مراجعة نقدية أو مدحية له، ولا يهم إذا كانت على هيئة مقالات أو حتى مقطوعات تنشر كمراسلات في باب القراء... حينها سيبدأ جميعهم بالحديث عن الكتاب".

أحد الأمثلة التي يمكننا الاستشهاد بها لهذه المراجعات، هي مراجعة ساخرة نشرها انغلز (في 22 اكتوبر 1867) في صحيفة إلبرفيلرد، سخر فيها من نظرية القيمة الزائدة كما جاءت في (رأس المال):

"خمسون صفحة كُرّست لتثبت بأن جل رساميل المصرفيين والتجار وملاك المصانع، وملاك الأراضي هي لا شيء سوى تراكم عمل الطبقة العاملة غير مدفوع! أذكّر القارئ بأن في 1849 تناولت الصحيفة الراينية الجديدة مسألة مطلب أن يعطى للفلاحين السيليسيين ملياراً، حيث تمّ ادعاء بأن ما يقارب ألف مليون تالر قد سرقت من هؤلاء الفلاحين السيليسيين من غير وجه حق، وذهبت مباشرة إلى جيوب ملاك الأراضي بعد انهيار الاقطاعية ونظام القنانة ... ولكن الآن، ما تشكل تلك الألف مليون تالر أمام ما يطالبه هذا الكتاب باسم الطبقة العاملة جمعاء – ليست ثمة طريقة اخرى لفهم المسألة. لما كانت ثروة الطبقات المالكة تجد مصدرها جميعها في "العمل غير المدفوع"، ألن يعني ذلك بأن ثمن هذا العمل (غير المدفوع) يجب أن يسدد لاحقاً؟ ايّ كل رأس المال الموجود حالياً يجب أن يعطى للعمال. ألن يدفعنا ذلك أن نفرز مَن بالضبط يجب علينا أن نسدد له هذا المبلغ؟".

واختتم المقالة يطالب فيها الاقتصاديين البورجوازيين أن يقارعوا هذه الأفكار بمنطق علمي، حيث إنها مكتوبة بشكل علمية رغم اشتراكيتها: "نتمنى من كتاب مثل روشر، وراو، وماكس فيرث، أن يدافعوا عن الاقتصاد السياسي كما نعهده ونعرفه ضد ما جاء به هذا الكتاب من أفكار جديدة ولكنها ليست بهيّنة. فبذرة الاشتراكية الديموقراطية تتفشى ما بين شبابنا وعمالنا في كل مكان، وهذا الكتاب سيساعد على ذلك)).

كما أنه نشر في الصحيفة الدوسولدورفية مراجعة كتب فيها بلكنة قومية مديحاً لكتاب ماركس (وذلك في 3–8 نوفمبر 1867): «نحن الألمان لنا، على خلاف كل الأمم الاخرى، حس تاريخي عظيم، لا وبل فريد من نوعه. بالتالي، لسنا متفاجئين بأن رجلاً ألمانياً هو من اقتفى أثر التاريخ وارتباطاته في مجال الاقتصاد السياسي».

حتى بعد هذه المحاولات، الاهتمام لم يكن عظيماً (وربما يرجع ذلك إلى صعوبة الأطروحات نفسها) وبقي الصمت يحوم حول (رأس المال). كما أن رجال الفكر والمعرفة اطلعوا على الكتاب حين أهداهم إياه ماركس أو أي أحد آخر. نذكر بأن الفيلسوف فويرباخ اطلع عليه وقال فيه التالي: «إنه غني بالوقائع التي لا يمكن نكرانها ابداً وهي مثيرة للاهتمام جداً ولكن لها – في مثل الوقت – طبيعة مروعة تماماً». كما إن ماركس أهدى داروين (في 1873) نسخة من الطبعة الثانية للكتاب، ويتضمن نص الإهداء: «إلى تشارلز داروين، من طرف معجب حقيقي: كارل ماركس». وكتب داروين إليه رسالة شكر يقول فيها في الفقرة الأخيرة: «رغم أننا ندرس شيئين مختلفين، أنا على يقين بأن لكلينا رغبة لا تنطفأ بنشر المعرفة، وذلك بلا شك ينصب في رفاهية وسعادة البشرية جمعاء».

**ومع ذلك، بقي الصمت لزيم انجيل الطبقة العاملة.**

اتذكرُ بأن في (فن الحرب) قال ماكيافيلي إن الأسلحة المدفعية والقذائف يجب ألا تكون ما بين صفوف الجنود، وذلك لأنها ستكون متجهة عكس الاتجاه الذي يجب تقصف فيه. إن قذيفة (رأس المال) ايضاً قد تضرب في الاتجاه المعاكس إذا حملها المرء بطريقة خاطئة. ترى كم مرة سقطت هذه القذيفة على رأس ماركسي مسكين ما؟ أو حتى ماركس نفسه الذي تشتت بين التناقض الكبير الواقع ما بين "منهج استعراض الكتاب" و"المنهج التحليلي" له؟ لاحظ غرامشي إبان الثورة الروسية – وربما لأنه إيطالي مثل ماكيافيلي– بأنها تمكنت أن تنجح لأنها كانت ايضاً ضد انجيل اسمه (رأس المال)؛ بمعنى ثمة اشياء لا يستطيع هذا الانجيل استباقها (ايّ قذيفة لا تصيب مرماها دائماً). ولكنني اضيفُ بأن تنبؤ ماركس يبقى صحيحاً، لا لأنني أشفق على كتاب اعتاد الصمت بل لأنني مؤمن تماماً بأن: (رأس المال) لن يكون قذيفة تسقط على رؤوس البورجوازية، ما لم نصحح الوجهة التي يشير إليها!

# التقدمي

رئيس التحرير: د. حسن مدن ـ مدير التحرير : فاضل الحليبي

التقدمي العدد 147 ـ فبراير 2020 السنة الثامنة عشر SDPA 499

مقبلٌ موعد
المهرجان الذي
نكتبُ الآن تاريخه

■ الشهيد سعيد العويناتي

# بـــقلوبهم يتعثرون

سوسن دهنيم

يرتِّبون أيامَهم.. يُحصونها
يختارون منها ما استعصى على النسيانِ
ويتظاهرون بالفرح..
يقرأون ما تيسَّرَ من سورة الإخلاص
فيمرضون بالذاكرة..
يصقلون أعينَهم بأحلام الضحى والليلِ إذا سجى
وإذا انتابهم الصفحُ تعثَّروا بقلوبِهم
وهبّت الأحلامُ تذرعُ ذاكرةَ السمع ..
أيامُهم صلواتٌ اندلقتْ كلَّما استحال لقاء
لا اللمسُ يشفي
ولا الأحلامُ تحترق.

****

## أوتـار

لماذا تغرقُ أوتارُ الكمنجةِ في التّجلّي، كلَّما لامسها
قوسُ عازفٍ،
ويُنالُها الصّمتُ وتترنحُ حين الهواء يداعبها ؟
تُقَيِّدُ الليلَ قرب ألحانها،
وتنطفئُ مع نهايةِ الكأس..
كمنجةٌ باسلةٌ تستيقظُ على صوتِ عازفِها حبيبةً
تنتابُها الأشواق
جانحةً لذكراه، تحلُّ شعرَها أوتارًا للغياب
يعزفُها مقطوعةً لا تنتهي
تكون له في المعنى آلهة..
يطيشُ بصرُه
فتسقطُ من عرشِها أنثى..

الكمنجةُ امرأةٌ تبحث عن عازفٍ واحدٍ
يهبها نصيبَها من التألُّه،
فتهبه حصتَه من الجنون.


المواد التي تحمل أسماء كتابها لا تعبر بالضرورة عن رأي المنبر التقدمي ص. ب: 21461 ت: 17780007 Altaqadomi.bh@gmail.com